مجلة البيان – العدد 32 ، صفر 1411هـ / سبتمبر 1990م

الافتتاحية

المعصية الفردية والمعصية الجماعية

المعصية الفردية يرتكبها صاحبها مـسـتـتـراً، يـتــوارى من المجاهرة بها افتخاراً وتحدياً لمشاعر الجماهير، وقد يرتكبها وهو معتقد أنها حــرام ، وأنه ينتهك بارتكابها شرع الله ، فيتوارى بفعلته تلك عن الأنظار ويصده الحياء عن تحدي المجتمع بذلك ، وإذا ما لاحقه شؤم فعله فافتضح فإنه يذهب يلتمس المعاذير التي يعـتـذر بها عادة المقصرون ، وقد يتوب إلى الله فيتوب الله عليه ، ويردف السيئة بالحسنات؛ فـيـنـسـى الـنـاس مــا كان بدر منه ((ومَن تَابَ وعَمِلَ صَالِحاً فَإنَّهُ يَتُوبُ إلَى اللَّهِ مَتَاباً))[الفرقان:71].

هذا النوع من المعاصي خطبه سهل - مقارناً بالنوع الثاني وهو المعصية الجماعية - فشؤمه وعواقبه الوخيمة تقتصر على مرتكبه ، ودائرته الضيقة التي يتحرك فيها.

أمــــا المعصية الجماعية فلها شأن آخر، فهي من حيث التطبيق ينتظم فيها عــدد كـثـيــر يتواطؤون على فعلها ولا يزال هذا العدد يكبر ويكبر حتى يشمل المجتمع كله.

- ومــــن حـيـث صـورتهــا يجاهَر بها على رؤوس الأشهاد، وقد يصبح فعلها مجال فخر وخيلاء واعتزاز وتطاول على الآخرين ، فقد تتخذها الجماعة أو الشعب شعاراً وتعتقد أنه يجلب لها المجد والرفعة.

-ومن حيث أثرها السيئ ،فإن نتيجتها لا تحيط بأهلها فقط بل بالمجتمع كله مع وجود أناس قد يشمئزون من فعلها في ذلك المجتمع .

- إن أثر المعصية الجماعية مدمر ومخيف لاتساع المساحة التي يظهر فيها شؤم هذا الأثر، فهي تعرض المجتمع الذي فشت فيه بأسره لغضب الله وانتقامه ، وتجعله فاقد المناعة، يهوي ويندثر عند تعرضه لأدنى هزة.

هذا مع أنه قد يعجب الناظر إليه ، ويخدع الذي لا يتعمق في تفحص جوهره ، فيحسبه سليماً متماسكاً، وهو الـمـعـلــول الـذي يـعـد الـحـكـمـاء والأطباء - وما أقلهم - له الأيام والساعات.

لقد قص الله - عز وجل - علينا في القرآن الكريم خبر كثير من الأمم التي أهلكها بسبب المعاصي الجماعية، وذكر لنا جريمتهم التي استحقوا بها ذلك العقاب ، مثل قوم عاد:

((وتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وعَصَوْا رُسُلَهُ واتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ))[هود: 59] .

ومثل قوم لوط :

((فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ومَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ))[هود:82-83] .

ومثل قوم شعيب :

((ولَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْباً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وأَخَذَتِ الَذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ * كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا أَلا بُـعْـداً لِّـمَـدْيَـنَ كَـمَـا بَـعِـدَتْ ثَـمُودُ))
[هود:94-95] .

ثـم يـبـيـن الله - تعالى - سنته المطردة في عقوبة المجتمعات التي تفشو فيها المعاصي التى يتواطأ عليها المجتمع ويقرها أهله فيقول - عز من قائل - : ((وكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إذَا أَخَذَ القُرَى وهِيَ ظَالِمَةٌ إنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ))[هود: 102] ، ((ومَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ القُرَى بِظُلْمٍ وأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ))[هود:117] .

صور للمعصية الجماعية:

بقي أن نزيد المعصية الجماعية تعريفاً وتحديداً ولا نكتفي بأمثلة من القرآن الكريم ، بل ننظر في واقعنا - نحن المسلمين - لنرى هل لأمثال هذه المعاصي وجود ؟

فنقول:المعصية الجماعية هى التى يقترفها جماعة من الناس (شعب ، قبيلة، أهل مدينة، أو قرية،...) وتـصـبـح شـيـئــاً مألوفاً عندهم ، وقد يفعلها الجيل بعد الجيل منهم ، ولو استنكرها عليهم أحد واجهـــوه بالإنكار عليه ومحاربته حرباً جماعية أيضاً، لأنهم يرون فيه تهديداً لوحدتهم،بل لوجودهم أحياناً !

وهكذا يصبح هذا المنكر أمراً معروفاً ومطلوباً، وقد يصبح شعاراً لهم يُعرفون به ، ويفتخرون به ، ويمتازون به عن غيرهم. ولو نظرنا في واقعنا اليوم لوجدنا كثيراً من هذه المنكرات التى أصبحت قوانين ودساتير محمية بقوة السلاح وبسلطة الدولة . وأن من يتجرأ على نقدها وبيان عيوبها وخطئها وخطرها يعرض نفسه لحرب شاملة على كل صعيد: مادياً ومعنوياً. وليس المقصود بهذه المنكرات ما يتبادر إلى أذهان الكثيرين لأول وهلة كالزنا وشرب الخمر مثلاً بل إن دائرة المنكرات دائرة واسعة تشمل هذه وتشمل غيرها من المبتدعات التى فرقت المسلمين وأضعفت صفوفهم وأذهبت ريحهم وجعلتهم طعمة لكل طامع ، وضحكة لكل ساخر، ولعبة لكل عابث ، كالنعرة القومية والقبلية والإقليمية، والجنسية، والحزبية، والمذهبية، والتعصب لهذه الأصنام التى لا تقل خطراً عن الأصنام التي حطمها أبو الحنيفية (إبراهيم الخليل) وحطمها من بعده محمد بن عبد الله -صلى الله عليه وسلم- بيده يوم فتح مكة وهو يتلو : ((وقُلْ جَاءَ الحَقُّ وزَهَقَ البَاطِلُ إنَّ البَاطِلَ كَانَ زَهُوقاً))
[الإسراء:81] .

والعذاب والبأس الذي أنزله الله بمن يتعارفون ويتميزون بهذه المنكرات ويفتخرون بها ويبذلون الأموال الطائلة في استنباتها وترسيخها بين الناس - قد

يكون من الكوارث والجوائح التي تجعلهم نكالاً لمن يأتي من بعدهم كما عذب القرون السابقة، وقد يكون غير ذلك من البلاء والفتن التى تسلبهم نعمة الأمن والاستقرار وتضربهم بالخوف والجوع والذلة والمسكنة كما قال - تعالى - : ((قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ))[الأنعام:65] .
وفي الصحيحين عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أنه لما نزل قوله - تعالى - ((قُلْ هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَاباً مِّن فَوْقِكُمْ)) قال : »أعوذ بوجهك ، ((أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ)) قال : أعوذ بوجهك ، ((أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعاً ويُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ)) ، قال : هاتان أهون« .
وقد بيَّن الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن الله لن يستأصل هذه الأمة كما استأصل الأمم السابقة، بل سيكون عقابه لها في الدنيا أن يلبسهم شيعاً ويذيق بعضهم بأس بعض ، فقد قال -صلى الله عليه وسلم- : »إن الله زوى لي الأرض حتى رأيت مشارقها ومغاربها، وأن مُلك أمتي سيبلغ ما زوى لي منها، وإني أُعطيت الكنزين الأبيض والأحمر وإني سألت ربي - عز وجل - أن لا يهلك أمتي بسَنة عامة، وأن لا يسلط عليهم عدواً فيهلكهم بعامة، وأن لا يلبسهم شيعاً ولا يذيق بعضهم بأس بعض ، فقال : يا محمد: إذا قضيت قضاءً فإنه لا يرد، وإني قد أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة، وأن لا أسلط عليهم عدواً من سواهم فيهلكهم بعامة حتى يكون بعضهم يهلك بعضاً، وبعضهم يقتل بعضاً، وبعضهم يسبي بعضاً. وقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : إني لا أخاف على أمتي إلا الأئمة المضلين ، فإذا وُضع السيف في أمتي لم يُرفع عنهم إلى يوم القيامة«
[ابن كثير:2/141] (1) .
والناظر في حال الأمة الإسلامية عبر تاريخها الطويل إلى اليوم يرى محنتها الرئيسية ليست المجاعات ، ولا الفقر، ولا تسلط الأعداء عليها بل تسلط بعضهم على بعض ، وتفرق كلمتهم ، والتيه الذي يعيشون فيه بسبب الدعوات الهدامة المفرقة لأهدافهم ، المشتتة لجهودهم.
فالمسلمون لم يؤتوا من ضيق ذات اليد، ولا من نقص في الموارد بل أُتُوا من غفلتهم عما يسبب التفرق لهم من نكبات ، ومن قصر النظر الذي يجعلهم يفضلون الأدنى على الأبقى، ويضحون بالمصلحة العامة في سبيل المصلحة الخاصة، ومن إخلالهم بتطبيق قاعدة الولاء والبراء، واضطرابهم في فهم الأولويات ؛ فتراهم يصرفون الجهود العظيمة على السنن والمندوبات ويهملون الفروض والواجبات ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ القُرَى آمَنُوا واتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ ولَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى

أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وهُمْ نَائِمُونَ * أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ)) [الأعراف:96-99] .

الهوامش :

1- انظر مزيداً من الروايات في تفسير الآية رقم 65 من سورة الأنعام في تفسير ابن كثير .

الخصائص المميزة لمنهج أهل السنة والجماعة -2-

هشام إسماعيل

الميزة الرابعة : عقيدة منصورة :

وهي التي أخـبـر عـنهـا المصطفى -صلى الله عليه وسلم- بقوله : »لا تزال طائفة من أمتى قائمة بأمر الله، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله ، وهم ظاهرون على الناس«(1).

وأهل السنة والجماعة - وإن مر عليهم زمن قل فيه وجــودهـم - إلا أنـهـم يبقون ظاهرين على غيرهم بالسيف والسلطان ، أو بالحجة والبيان ، أو بهما معاً، وظـاهـريـن أي أنـهـم مشهورون غير مستترين (2).

وهـم منصورون بدلالة هذا الحديث ، وبدلالة قوله - تعالى - : ((إنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا والَّذِينَ آمَنُوا فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا ويَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ))[غافر:51] .

ومن عجيب نصر الله - عز وجل - لأهل السنة ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - بقوله : "وقد تبين لك أن الطوائف التي في كلامها ما يعارضون به كلام الشارع من العقـلـيـات - ســواء عارضوا به في الظاهر أو الباطن - كل منهم يقول جمهور العقلاء: إن عقلياته تلك باطـلـــة ويـبـينون فساد عقلياته بالعقليات الصحيحة الصريحة التي لا يمكن ردها" (3).

وهذا من نصر الله - عز وجل - لأهل السنة في الحياة الدنيا، وأما في الآخرة ففي عدة مواطن ، منها ما قاله ابن عباس - رضي الله عنه - في قوله - تعالى - : ((يَوْمَ تَبْيَضُّ وجُوهٌ وتَسْوَدُّ وجُوهٌ))[آل عمران:106] ، قال : تبيض وجوه أهل السنة والجماعة، وتسود وجوه أهل البدعة والفرقة (4) .

وكونها عقيدة منصورة يدل على أنها ثابتة لا تتبدل ولا تتغير على مر العصور والأزمان ، وثباتها ناشئ من ثبات مصدرها ، بينما نجــد أن الفرق الأخرى إما أن يحدث تطور في معتقداتها كما في المرجئة والخـوارج وغـيـرهـم ، وإما أن تنقرض ولا يبقى لها أثر إلا في بطون الكتب ، ككثير من فرق الخوارج وغيرهم.

الميزة الخامسة : عقيدة وسط (الوسطية) :
قال الله - سبحانه وتعالى - : ((وَكَذَلِكَ جَعَلْـنَـاكُمْ أُمَّةً وسَطاً لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ويَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً))[البقرة:143] قال ابن جرير - رحمه الله تعالى - : "وأرى أن الله - تعالى ذكره - إنما وصفهم بأنهم وسط لتوسُّطهم في الدين ، فلا غلو فيه، غلو أهل النصارى الذين غلوا بالترهب وقِيلهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه،تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ، ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه ، فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها" (5).
والله - عز وجل - "جعل هذه الأمة وسطاً في كل أمور الدين ، وسطاً في الأنبياء، بين من غلا فيهم كالنصارى، وبين من جفا منهم كاليهود، بأن آمنوا بهم ، كلٌّ على الوجه اللائق بذلك.
ووسطاً في الشريعة،لا تشديدات اليهود وآصارهم، ولا تهاون النصارى، وفي باب الطهارة، والمطاعم ، لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بِيعهم وكنائسهم ولا يطهرهم الماء من النجاسات ، وحرمت عليهم الطيبات عقوبة لهم ، ولا كالنصارى الذين لا ينجسون شيئاً، ولا يحرمون شيئاً، بل أباحوا ما دب ودرج ، بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها، وأباح لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح ، وحرم عليهم الخبائث من ذلك.
فلهذه الأمة من الدين أكمله ، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها، ووهبهم الله من العلم والحلم والعدل والإحسان ، ما لم يهبه لأمة سواهم ، فلذلك كانوا أمة وسطاً، كاملين معتدلين ، ليكونوا شهداء على الناس بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط ، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان ، ولا يحكم عليهم غيرهم"(6).
وكذلك هذه الأمة أمة وسط في التصور والاعتقاد ... أمة وسطاً في التفكير والشعور، لا تجمد على ما علمت وتغلق منافذ التجربة والمعرفة ، و لا تتبع - كذلك - كل ناعق .. إنما تتمسك بما لديها من تصورات ومناهج وأصول ، ثم تنظر في كل نتاج للفكر والتجريب ، وشعارهم الدائم : "الحقيقة ضالة المؤمن أنَّى وجدها أخذها في تثبت ويقين".
أمة وسط في التنظيم والتنسيق... لا تدع الحياة كلها للمشاعر والضمائر، ولا تدعها كذلك للتشريع والتأديب ، إنما ترفع ضمائر البشر بالتوجيه والتهذيب ، وتكفل نظام المجتمع بالتشريع والتأديب ، وتزاوج بين هذه وتلك ، فلا تكل الناس إلى سوط السلطان ، ولا تكلهم - كذلك - إلى وحي الوجدان ، ولكن مزاج من هذا وذاك (7) . قال ابن تيمية : "وكذلك أهل السنة في الإسلام متوسطون في جميع الأمور فهم في "عليّ" وسط بين الخوارج والروافض ، وكذلك في عثمان وسط بين المروانية وبين الزيدية، وكذلك في سائر الصحابة

وسط بين الغلاة فيهم والطاعنين عليهم ، وهم في الوعيد وسط بين الخوارج والمعتزلة وبين المرجئة، وهم في القَدَر وسط بين القدرية من المعتزلة ونحوهم ، وبين القدرية المجبرة من الجهمية ونحوهم ، وهم في المعتزلة وسط بين المعطلة وبين الممثّلة.
والمقصود أن كل طائفة سوى أهل السنة والحديث المتبعين آثار رسول الله - صلى الله عليه وسلم- فلا ينفردون عن سائر طوائف الأمة إلا بقول فاسد، لا ينفردون قط بقول صحيح ، وكل من كان عن السنة أبعد كان انفراده بالأقوال والأفعال الباطلة أكثر" (8).

الميزة السادسة : عقيدة عادلة :

يقول الله - عز وجل - : ((إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ والإِحْسَانِ وإيتَاءِ ذِي القُرْبَى ويَنْهَى عَنِ الفَحْشَاءِ والْمُنكَرِ والْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ))[النحل:90] ، ويقول - سبحانه وتعالى - : ((ولا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى واتَّقُوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ))[المائدة:8] .
قال ابن جرير في تفسير هذه الآية : "يعني بذلك - جل ثناؤه - : يا أيها الذين آمنوا بالله وبرسوله محمد ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم ، ولا تجوروا في أحكامكم ، وأفعالكم ، فتجاوزوا ما حددت لكم في أعدائكم لعداوتهم لكم ولا تقصروا في ما حددت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم ، انتهوا في جميعهم إلى حدي ، واعملوا فيه بأمري"(9).
ويقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: "ولا يجرمنكم أي لا يحملنكم شنآن قوم : أي بغضهم على ألا تعدلوا كما يفعله من لا عدل عنده ولا قسط بل كما تشهدون لوليكم فاشهدوا، وكما تشهدون على عدوكم فاشهدوا له ، فلو كان كافراً أو مبتدعاً فإنه يجب العدل فيه ، وقبول ما يأتي به من الحق ، لا لأنه قاله ولا يرد الحق لأجل قوله ، فإن هذا ظلم للحق" (10).
من عدل أهل السنة أنه وجد من العلماء من كان له قدم خير وسبق في نشر الإسلام والدفاع عنه ، ويكون قد وقعت منه أخطاء عقَدية اجتهاداً منه في طلب حق لم يوفق له ، فأمثال هؤلاء العلماء ينبغي أن يسلك فيهم مسلك الوسط ، فلا إفراط في مدحهم ولا تفريط في ذمهم ، بل ينبغى أن يقال فيهم كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - عن بعضهم : "قلت أبو ذر - الهروي - فيه من العلم والدين والمعرفة بالحديث والسنة، وانتصابه لرواية البخاري عن شيوخه الثلاثة وغير ذلك من المحاسن والفضائل ما هو معروف به. وكان قد قدم إلى بغداد من هراة، فأخذ طريقة ابن الباقلاني وحملها إلى الحرم فتكلم فيه وفي طريقته من تكلم كأبي نصر السجزي ، وأبي القاسم

سعد بن علي الزنجاني ، وأمثالهما من أكابر أهل العلم والدين ، بما ليس هذا موضعه...
ثم إنه ما من هؤلاء إلا من له في الإسلام مساعٍ مشكورة، وحسنات مبرورة ، وله في الرد على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على من عرف أحوالهم ، وتكلم فيهم بعلم وصدق وعدل وإنصاف...
وهذا ليس مخصوصاً بهؤلاء، بل مثل هذا وقع من أهل العلم والدين ، والله - تعالى - يتقبل من جميع عباده المؤمنين الحسنات ويتجاوز لهم عن السيئات ((رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ولإخْوَانِنَا الَذِينَ سَبَقُونَا بِالإيمَانِ ولا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ))[الحشر:10].
ولا ريب أن مَن اجتهد في طلب الحق والدين من جهة الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأخطأ في بعض ذلك ؛ فالله يغفر له خطأه ، تحقيقاً للدعاء الذي استجاب الله لنبيه وللمؤمنين ، حيث قالوا : ((رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا))[البقرة:286] .
ومن اتبع ظنه وهواه ، فأخذ يشنع على من خالفه بما وقع فيه من خطأ ظنه صواباً بعد اجتهاده ، وهو من البدع المخالفة للسنة، فإنه يلزمه نظير ذلك في المتأخرين ، لكثرة الاشتباه والاضطراب ، وبعد الناس عن نور النبوة وشمس الرسالة، الذي به يحصل الهدى والصواب ، ويزول به عن القلوب الشك والارتياب" (11).
وما ذكره ابن تيمية يبين عدل أهل السنة، ويبين كذلك منهجهم مع من أخطأ أو ضل في بعض مسائل الدين. وممن اتخذ هذا المنهج العدل في نقد الآخرين - سواء كانوا موافقين له أو مخالفين - الحافظ الذهبي -رحمه الله - وذلك في ترجمته لكثير من العلماء، حيث يصف كل من ترجم له بعلم وعدل وإنصاف - نحسبه كذلك ولا نزكي على الله أحداً (12).
كما يتجلى عدل أهل السنة والجماعة في كتب الجرح والتعديل ، حيث إنهم يذكرون أن فلاناً صدوق ، وإن كان من أهل البدع ، وأن فلاناً ضعيف سيئ الحفظ وإن كان من أهل السنة.
وانظر على سبيل المثال ما قاله العلماء في عبد الله بن لهيعة، وهو من محدثي أهل السنة والجماعة :
قال عنه ابن حجر في التقريب (3563): صدوق خلط بعد احتراق كتبه.
وقال عن عمران بن حطان الخارجي : صدوق . إلا أنه كان على مذهب الخوارج. كما في التقريب (5152).
فانظر إلى اختلاف ما بين الرجلين في المعتقد، وإلى وصف كل منهما بأنه صدوق ، فكون ابن لهيعة من أهل السنة لم يكن دافعاً لعلماء الجرح بأن يوثقوه ، كما لم تكن بدعة عمران بن حطان سبباً في تضعيفه ، بل وصفوا كلاً

منهما بما يستحق من جهة حفظه وضبطه ، وذكر ما فيهما من بدعة أو سنة، والأمثلة في غيرهما كثيرة.
وفي المقابل إذا نظرنا إلى ما كتبه بعض أهل البدع - كالكوثري في كتابه "تأنيب الخطيب"- فهو لم يؤنب الخطيب البغدادي فقط ، بل جرح كثيراً من ثقات علماء أهل السنة، بل حتى بعض الصحابة لم يسلموا منه ، كأنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه - (13).
وفي الوقت نفسه قام بتوثيق كثير من ضعفاء أهل الأهواء والبدع (14) ومن هنا يتضح لنا عدل أهل السنة والجماعة، وجور أهل البدعة والضلالة.

الميزة السابعة: عقيدة سهلة ميسرة :

فهي - كما قلنا - عقيدة ربانية المصدر، تعتمد على الكتاب والسنة، والله - عز وجل - يقول عن كتابه في كتابه : ((ولَقَدْ يَسَّرْنَا القُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ)) [القمر:17] ويقول - سبحانه وتعالى - عن سنة نبيه -صلى الله عليه وسلم - : ((وأَنزَلْنَا إلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إلَيْهِمْ ولَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ))[النحل: 44] ، وكل مَن يطلع على الأدلة من الكتاب والسنة أو من كلام السلف الصالح على أمور الإسلام عامة، ومسائل العقيدة خاصة - يجدها ميسرة سهلة لا غموض فيها ولا لبس ولا تكلف ، ومما يدل على ذلك أن وقت نزول القرآن ، ووقت تحدث النبي -صلى الله عليه وسلم- إلى أصحابه في مجالسه العامة، كان يوجد العالم والجاهل ، وسريع الفهم وبطيئه ، بل كان يحضرها الصغار والأعراب ، الذين يأتون من البادية لبعض حوائجهم ، وكلهم كان يسمع الآيات القرآنية التى تنزل على الرسول -صلى الله عليه وسلم- ، والأحاديث النبوية وهو يقولها لأصحابه - رضوان الله عليهم - ثم لا يَشْكل عليهم فهمها إلا ما ندر .
يقول الإمام الشاطبي - رحمه الله - :
"إن التكاليف الاعتقادية والعملية مما يسع الأمي تعقلها ، ليسعه الدخول تحت حكمها"(15) .
ثم يقول عن الأمور العقدية بأنها :
"تكون من القرب للفهم والسهولة على العقل بحيث يشترك فيها الجمهور ، مَن كان منهم ثاقب الفهم أو بليداً ، فإنها لو كانت مما لا يدركه إلا الخواص ، لم تكن الشريعة عامة، وقد ثبت كونها كذلك ، فلابد أن تكون المعاني المطلوب علمها واعتقادها سهلة المأخذ" (16).
وأما عقائد أهل البدع والضلال ، فهي جافة غامضة، صعبة الفهم ، فهم يعتمدون على علم المنطق ، وعلم الكلام ، وفلسفة الوثنيين ، أي أنهم يعتمدون على العقل البشري المجرد عن الوحي الإلهي والنور الرباني.

بل شهد مَن رجع إلى الحق منهم ، أنهم كانوا في ضلال وحيرة عظيمة، لا تماثلها حيرة، وأنهم كانوا في شك من دينهم ، ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) .

وأما أهل السنة والجماعة فهم - والحمد لله - في عافية من الشك والارتياب ، ومن الحيرة والضلال الذي وقع فيه أهل البدع ببدعهم . ونجا منه أهل السنة باتباع سنة نبيهم -صلى الله عليه وسلم- والحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

1 - أخرجه الإمام أحمد 4/101 ، والحديث مخرَّج في الكتب الستة إلا النسائي ، وانظر الألفاظ الصحيحة في صحيح الجامع من رقم (7287) إلى (7296).
2 - انظر : فتح الباري 13/407.
3 - انظر : درء تعارض العقل والنقل (318-10/317).
4 - تفسير ابن كثير (2/391).
5 - تفسير ابن جرير الطبري ، 3/142.
6 - تفسير السعدي ، 1/158.
7 - في ظلال القرآن ، 1/131 باختصار.
8 - انظر : منهاج السنة النبوية 5، /168-173 .
9 - جامع البيان للطبري ،10/95.
10 - انظر : تفسير السعدي ، 2/259.
11 - انظر : درء تعارض العقل والنقل ، 2/101-103.
12 - انظر على سبيل المثال "سير أعلام النبلاء" ، 7/361،11/526،14/183 ، 14/220، وغيرها من المواطن.
13 - الطليعة للعلاّمة المعلمي ، 65.
14 - انظر : كتاب التنكيل (قسم التراجم) ، 1/84 وما بعدها .
15 - الموافقات ، 2/88.
16- الموافقات ، 2/88.

أخلاق

الوفاء بين الجاهلية والإسلام

محمد الناصر

يعتبر الوفاء من أخلاق العرب الأصيلة، حـيـث إن الـرجل منهم كان ينطق بالكلمة فتصبح عهداً ، عليه أن يفي به وإلا عرّض شرفه للـتـجـريـح ، وكان الغدر معرة يتجافون عنها، وإذا ما غدر أحدهم رفعوا له لواءً بسوق عكاظ ليـشـهــروا بـــه ، وفي ذلك يقول الحادرة (قطبة بن محصن) ، إنهم لم يغدروا وإنهم لن يأتوا ما يشكك حليفهم فيهم : (1)

أَسُمَيَّ ويحكِ هل سمعتِ بغَـــــدْرةٍ رُفِـع اللـواءُ لـنـا بها في مجمعِ
إنا نَعْـفُّ فـــلا نُريبُ حلـيـفَـنـــا ونَكُفُّ شُحَّ نفـوسِـنـا في المطـمعِ
وبسبب اهتمام العرب بهذا الخلق نصروا الحلفاء،وذبّوا عن الجيران ، وقد كان هذا الخلق متعدد الأشكال والألوان، فوفاء لمن يجاورون، ووفاء لمن يعاهدون، ووفاء لمن يحبون ، ووفاء لمن يصنع معهم معروفاً(2).
ولم تكن أخلاق القوم نـظـرية صـــوريــة، وإنما كانت واقعاً ضربوا به الأمثال وهى كثيرة نكتفي بنماذج منها.
وخير نموذج لذلك ما فعله عبد الله بن جُـدعــان فـي حرب الفِجَار التي دارت بين كنانة وهوازن ، إذ جاء حرب بن أمية إليه وقال له : احتبس قبلك سلاح هوازن ، فقال له عبد الله : أبالغدر تأمرني يا حرب ؟! والله لو أعلم أنـــه لا يبقى منها إلا سيف ، إلا ضُربت به ، ولا رمح إلا طُعنت به ما أمسكت منها شيئاً .
وكان من وفائه أن العرب إذا قَدِمت عكاظاً دفعت أسلحتها إلى عبد الله بن جدعان ، حتى يفرغوا من أسواقهم وحجهم ، ثم يردها عليهم إذا ظعنوا من مكة إلى مضارب قومهم(3).
ومن أنواع الوفاء : وفاء العربى لأهل عصبيته، فليس له أن يخالفهم مهما كانت درجة الخلاف معهم لأنه واحد منهم وما يصيبهم يصيبه، وقد عاب الناس الغادر وعيروا به، فإذا شتموا شخصاً، قالوا له : يا غُدَر (4).
إن قصص الوفاء فريدة عند أهل الجاهلية، وممن ضُرب بوفائه المثل : عمير بن سلمى الحنفي ، إذ استجار به رجل من بني عامر بن كلاب ، وكانت معه امرأة جميلة، فرآها (قرين بن سلمى الحنفي) أخو عمير، وصار يتحدث إليها، فنهاها زوجها بعد أن علم فانتهت فلما رأى قرين ذلك وثب على زوجها فقتله ، وعمير غائب ، فأتى أخو المقتول قبر سلمى وعاذ به ، فلما قدم عمير أخذ أخاه وأبى إلا قتله أو أن يعفو عنه جاره ، وأبى أخو المقتول أخذ الدية ولو ضوعفت، فأخذ عندئذ عمير أخاه وقتله لغدره وفاءً لجاره(5).
كان الجاهلي إذا قال كلمة وفى بها، ولو أدت به إلى القتل، أو إلى قتل قريب عزيز عليه، فالرجل الحنفي قتل أخاه، كل ذلك وفاءً بالعهود والمواثيق،وأين من هذا الوفاء ما يحصل من غدر في أيامنا هذه؟ وما بال الوفاء يئن جريحاً عند كثير مـن الـنـاس حتـى الـطـيـبـيـن منهم؟! فكثرت الشكوى وعم البلاء؟!
على أن هذا الخلق وإن اتصف به أكثر العرب إلا أن لكل قاعدة شواذ والأمور نسبية، إذ كان الغدر (كذلك) منتشراً معروفاً، يقول امرؤ القيس ذاكراً انتشار الغدر بين بعض القوم(6):
إذا قلت هذا صاحب قد رضيـتـــه وقــرَّت بـه العينان بدلت آخرا
كذلك جدي ما أصاحب صـاحـبــاً مــن الـنـاس إلا خانـني وتغيرا
ويقول أوس بن حجر (7) :

وإنى رأيت الناس إلا أقلهم   خفاف العهود يكثرون التنقُّلا

الإسلام والوفاء :

إن الوفاء الذي كان في الجاهلية يتمثل في حفظ جوار - وعدم نقض حلف ، أو أداء أمانة - تحول في الإسلام إلى حفظ للعهود عامة، وأداء للذمم والأمانات عامة، سواء اكانت للأصدقاء أم للأعداء، وذلك استجابة لأوامر ربهم وتأسياً بسيرة نبيهم -صلى الله عليه وسلم- ، الذي قال فيما رواه أبو هريرة - رضي الله عنه - : »آية المنافق ثلاث : إذا حدث كذب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا أؤتمن خان« متفق عليه.

وقد نوه القرآن الكريم بسمو فضيلة الوفاء حين جعلها صفة للأنبياء فقال في سورة النجم : ((وإبْرَاهِيمَ الَذِي وفَّى))[النجم:37] ، وذلك أن إبراهيم - عليه السلام - بذل غاية جهده في كل ما طُولب به من ربه ، فبذل ماله في طاعة الله ، وقدم ولده إسماعيل قرباناً لله حتى فداه ربه ، واحتمل الابتلاء في الاحتراق بالنار في سبيل الله حتى جعلها الله برداً وسلاماً عليه ، وأشار القرآن إلى وفاء إسماعيل - عليه السلام - في قوله : ((واذْكُرْ فِي الكِتَابِ إسْمَاعِيلَ إنَّهُ كَانَ صَادِقَ الوَعْدِ وكَانَ رَسُولاً نَّبِياً))[مريم:54] ، فقد كان إسماعيل مشهوراً بهذه الصفة، وحسبنا أنه وعد بالصبر على الذبح وقال لأبيه : ((افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ))[الصافات:102] ؛ فوفى بعهده وصدق في وعده فكان من المخلصين (8) .

ومن أمثلة وفائه (عليه الصلاة والسلام) - وهى كثيرة - موقفه يوم الفتح من عثمان بن طلحة حاجب الكعبة في الجاهلية، عندما طلب من علي - رضي الله عنه - ومفتاح الكعبة في يده أن يجمع لبني هاشم الحجابة مع السقاية فقال -صلى الله عليه وسلم- : »أين عثمان ؟« فدُعِي له فقال : »هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء« (9) .

وبعد صلح الحديبية عندما جاء أبو بصير هارباً من مكة، وجاء رجلان من قومه يطلبان رده حسب الشروط ، فأبى النبى إلا أن ينفذ شروط الصلح ، ولما تألم أبو بصير من ذلك حتى لا يرجع إلى المشركين فيفتن عن دينه - قال الرسول -صلى الله عليه وسلم- : »يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت من العهد، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ومن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً« وقد حقق الله -تعالى - ظن رسوله ؛ إذ وجد لهؤلاء المستضعفين الفرج والمخرج كما هو معروف في كتب السيرة .

وصار موكب الصحبة الطاهر على هدي هذه الأخلاق الوفية، يضحون بالغالي والرخيص ، امتثالاً لأوامر ربهم ، وأسوة بوفاء نبيه ، واتبعتهم في ذلك الأجيال المؤمنة على مر العصور.

والوفاء بالعهود هو الضمان لبقاء عنصر الثقة في التعامل بين الناس ، وبدون هذه الثقة لا يقوم مجتمع ولا تقوم إنسانية، وقد تشدد الإسلام في مسألة

الوفاء بالعهود فلم يتسامح فيها أبداً لأنها قاعدة الثقة، التى ينفرط بدونها عقد الجماعة ويتهدم (10) . قال - تعالى - : ((وأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إذَا عَاهَدتُّمْ ولا تَنقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً))[النحل:91].
ولعل أجمع الآيات القرآنية لأنواع الوفاء قول الله - تبارك وتعالى - في سورة المائدة : ((يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)) ، ولذلك قال رشيد رضا : إن أساس العقود الثابت في الإسلام هو هذه الجملة البليغة المختصرة المفيدة : ((أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)) ، لأنها تفيد أنه يجب على كل مسلم أن يفي بما عقده وارتبط به ، فكل قول أو فعل يعده الناس عقداً فهو عقد يجب أن يوفوا به كما أمر الله - تعالى - ما لم يتضمن تحريم حلال أو تحليل حرام"(11).

الإسلام يحارب الغدر والخيانة :

عندما مجد الإسلام فضيلة الوفاء حمل أيضاً على الخيانة والغدر حتى مع الأعداء، يقول - سبحانه وتعالى-: ((وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ المَسْجِدِ الحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا)) [المائدة:2] وقال أيضاً : ((إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ))[الحج:38] .
وقال -صلى الله عليه وسلم- : »إذا جمع الله بين الأولين والآخرين يوم القيامة، يرفع لكل غادر لواء يعرف به ، فيقال هذه غدْرة فلان« رواه البخاري.
ولقد حرم الإسلام اتخاذ المصلحة سبباً في نقض العهد، وكان بعض المشركين من العرب يبرر لنفسه نقض عهده مع الرسول -صلى الله عليه وسلم- بأن محمداً ومن معه قلة ضعيفة بينما قريش كثرة قوية فنبههم إلى أن هذا ليس مبرراً لأن يتخذوا قسمهم غشاءً وخديعة : ((تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ))[النحل:92] أي بسبب كون أمة أكثر عدداً وقوة من أمة، وطلباً للمصلحة مع الأمة الأقوى.
ويدخل في مدلول النص أن يكون نقض العهود تحقيقاً لما يسمى الآن مصلحة الدولة.. فالإسلام لا يقر مثل هذا المبرر ويجزم بالوفاء بالعهد.. وعلى هذا الأساس قام بناء الجماعة الإسلامية وبناء الدولة الإسلامية.
لقد دخلت في الإسلام جماعات وشعوب بسبب ما رأوا من وفاء المسلمين بعهدهم ومن صدقهم في وعدهم ، ومن إخلاصهم في إيمانهم.. فكان الكسب أضخم بكثير من الخسارة الوقتية الظاهرية التى نشأت عن تمسكهم بعهودهم (12). هكذا كانت علاقة المسلمين حتى مع أعدائهم ، وفاءً مرتبطاً بالعقيدة لا يتقيد بمنفعة زائلة، ففي الحروب الصليبية - في عهد صلاح الدين الأيوبي - كان المسلمون يفون بعهودهم رغم كثرة الغدر من قبل الصليبيين امتثالاً لقوله - تعالى - : ((وإمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الخَائِنِينَ))[الأنفال:58].
فالميثاق لا يُنقض غدراً حتى حين تخاف الخيانة وإنما يعلم العدو أن الميثاق قد انتهى بسبب الخيانة من جانبه ، وأن العلاقة هي علاقة الحرب (13).

والغدر من شيم أخلاق أوربا الحديثة، ومعاهدات الحلفاء مع العرب في القرن الماضي ونقضهم للعهود، وتقسيمهم للبلاد وتشريدهم للعباد خير شاهد على ما نقول.
وما تزال هذه المفاهيم المنحرفة هي السائدة في عالم السياسة شرقاً وغرباً مع الأسف ، ولكن حذر المؤمنين - الذين يعبدون الله على بصيرة - لا يفسح المجال لألاعيب الساسة وخبث الماكرين.
وإذا كانت هذه أخلاقنا مع الأعداء، فما بالنا نفرط بهذا الخلق مع الأصدقاء، وأصحاب الفضل والسابقة من أهل العلم والتربية والتوجيه؟!
بل ولِمَ لا نكون أكثر وفاءً مع الأهل والإخوة ومع مَن نعول ؟! ولم ننسى الوفاء مع الجار الجنب وبقية الجيران والأصحاب؟! وبذلك تسود المحبة وتعم الثقة بين المسلمين ، ونعيد إلى مجتمعاتنا ما كان عليه سلف هذه الأمة من استقامة وبر ووفاء!
إن الشكوى باتت مريرة في هذه الأيام بسبب انتشار ظاهرة الغدر، وما تجره من فقدان الثقة في العلاقات الاجتماعية عامة، وقلما تنجو منها مؤسسة في عالم التجارة والاقتصاد، حيث لا يراعي كثير من الشركاء في أموال من ائتمنوهم إلاًّ ولا ذمة، فتمحق البركة وتكثر الخسائر.
حتى المؤسسات التربوية - تلك التي كان يُتوقع منها أن تغرس الفضيلة ونور العلم والتوجيه - بات بعضها يضرب أمثلة سيئة من الغدر والكيد وانعدام الوفاء.
إن ترجمة أخلاق السلف إلى شباب هذه الأمة ليست نظريات تلقى في فراغ ، ولا محاضرات وادعاءات ، إنها قدوة حسنة، وسلوك واقعي فذ في عالم الناس والشباب خاصة.
إنها واجب ديني تفرضه علينا تعاليم ديننا ومصلحة أمتنا وأمانة البلاغ ، إن تصورات العقيدة إذا لم تتحول إلى سلوك عملي ينسجم مع هذه التصورات - سوف يوقع الأجيال الناشئة في إحباط شديد، وتمزق مرير، وتساؤل عجيب بسبب الانفصال بين النظرية والتطبيق.
إنها لأمانة ضخمة في أعناق دعاة هذا الدين ، فليصدُقوا الله في أداء هذه الأمانة، وليضربوا النماذج الحية من الوفاء ومكارم الأخلاق ، والأمل كبير في الأجيال المؤمنة الجادة لتعود بهذه الأمة إلى سابق مجدها ونظافة أخلاقها، وصفاء عقيدتها، والله ولي التوفيق .

الهوامش :

1 - المفضليات : رقم8 ، ص45.
2 - انظر : الحياة العربية في هذا الموضوع للحوفي ، ص358، والمعتقدات والقيم ، محمد صيام ، ص370، وما بعدها.
3- انظر : الأغاني ، 22/6 ، طبعة دار الثقافة.

4 - تاريخ العرب قبل الإسلام : جواد علي ، 4/402.
5- المحبر ، ص352 لابن حبيب.
6 - الديوان ، ص69، وانظر : ظاهرة الغدر في المعتقدات والقيم ، ص109.
7 - الشعر والشعراء لابن قتيبة ،1/208.
8 - أخلاق القرآن للشرباصي ،2/194.
9 - انظر : زاد المعاد ، 2/293 ، تحقيق محمد الفقي .
10 - الظلال : 4/2191.
11 - عن كتاب أخلاق القرآن للشرباصي ،2/208.
12 - في ظلال القرآن ، 4/2191-2192.
13 - انظر : جاهلية القرن العشرين ، 160-161.

خواطر في الدعوة

الاستبصار عند الفتن

محمد العبدة

عندما كتب الإمام أبو المعالي الـجـويـنـي كتابه في السياسة الشرعية المسمى (غِيَاث الأمم في التياث الظُّلَم) أراد أن يقول إنه عندما يحـزب الـمـسـلـمين أمر ، وتأتي الفتن من كل مكان تشوش على المسلم ، فلا يدري وجه الحق ولا أين يتجه، ويصبح الحليم حيران ، فالمعول عليه عندئذ هم العلماء الذي يبصرون الناس بالحقائق ويبينون الصواب لأنهم أدرى الناس بمواقع الفتن ، وكيفية المخرج منها.
وذلك لما فقهوا واستأنسوا من حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ولـمـا يعـلـمون من الترجيح بين الصالح والأصلح ، والفاسد والأشد فساداً، ويعلمون قاعدة دفع الضرر ، رفـع الـحـرج ، ومـثل هذا ا الصنف من العلماء يجب أن يكون على علم وفقه دقيق بالواقع كما هو على علم واسع بالقواعد الشرعية، وكيف تطبق على أرض الواقع.
إن الملاذ الذي يـلـجــأ إليه العوام هم العلماء والدعاة، فهم المتَّبَعون ، ولا يجوز أبداً أن يكونوا هم التابعين يتحسسون آراء الشارع وتوجهات الناس ، فيؤيدون هذا الاتجاه أو ذاك إرضاءً لهم ومسايرة لعواطفهم الفائرة، وحتى لا تحترق أوراقهم .
هناك بعض أئمة المساجــد مـن يـعـلــم أن ذاك الأمر بدعة ولكنه لا يستطيع مخالفة عوام المسجد ! وكذلك نجدهم في الأمور الكبيرة التي تهجم على المسلمين فلا يدرون أين المذهب ، وتتفرق بهم السبل ، هذا الصنف مـمـن يتصدر للزعامة، ويداري ويجامل على حساب الحق ، فهو مقود لا قائد. وكان

الأوْلى بـــه أن يصدع بالحق في وقت يكون الناس في أشد الحاجة إلى العلماء الذين لا يجاملون ولا يداهنون.
كان الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان يسأل رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الشر والفتن مخافة أن يقع فيها، وكان عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - يسأله ويستشيره في موضوع الفتن ، فهل يتبصر الدعاة طريقهم عندما تشتبه الأمور، ثم يقومون بتبصير الناس حتى لو أدى ذلك إلى معارضتهم واستغرابهم ، فإن هذه مهمتهم ، وهذه هي الأمانة التي نِيطت في أعناقهم ((لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ ولا تَكْتُمُونَهُ))[آل عمران:187] .

دراسات

أحاديث الفتن والفقه المطلوب

د.مأمون فريز جرار

إن مما ينبغى أن يُلفت إليه النظر ويوجـه إليه الاهتمام ذلك الباب الذي نجده في كثير من كتب الحديث النبوي تحت عنوان "كـتـاب الفتن" أو "الملاحم وأشراط الساعة" ، فإن فيه أحاديث بين فيها النبي -صلى الله عليه وسلم- مـا يـكـون مــن الـفـتــن الـتـى تـقـع بين المسلمين، أو الأحداث التى ستكون بينهم وبين غيرهم من الأمم والملل ، ونجد في بعـضـهـا تصريحاً بيّناً وفي بعضها الآخر رموزاً وإشارات موحية.
إن عـلـيـنا أن نسأل أنفسنا: لِمَ حدَّث النبى -صلى الله عليه وسلم- بتلك الأحاديث؟ ولم كان منه ذلك الاهـتـمـام الـشـديـد بالفـتـن وأخبارها حتى كان الصحابة يُصابون بشيء من الذعر لكثرة حديثه عنها؟!
يستيقظ - عليه الصلاة والسلام - مرة من نومه فتسمعه زوجه السيدة زينب بنت جحش - رضي الله عنها - يقول : »لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ؛ فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه (وعقد سفيان - أحد رواة الحديث - بيده عشرة) وتقول له السيدة زينب : "يا رسول الله : أنهلك وفينا الصالحون؟ قال : نعم ، إذا كثر الخبث«(1).
ويشرف على أُطُم من آطام المدينة فيقول لأصحابه : »هل ترون ما أرى؟ إنى لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر« (2) . ويحدثهم النبى - صلى الله عليه وسلم- عن فتن بعيدة عن عصرهم ويهتم بها أي اهتمام ، ويستعيذ منها ويعلّم المسلمين أن يفعلوا ذلك ، ومنها فتنة الدجال (3)، وإن من الثابت في صحاح الحديث أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قص على أصحابه ما سيكون من أحداث الدنيا وفتنتها حتى يوم القيامة، عمّ بذلك الصحابة كلهم ، وخص بعضهم بما لم يقله على الملأ . ولنستمع إلى أبي زيد عمرو بن أخطب يحدثنا بهذا الحديث العجيب ، قال : "صلى بنا رسول الله -

صلى الله عليه وسلم- الفجر وصعد المنبر، فخطبنا حتى حضرت الظهر، فنزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى حضرت العصر، ثم نزل فصلى، ثم صعد المنبر فخطبنا حتى غربت الشمس، فأخبر بما كان وما هو كائن ، فأعلمنا أحفظنا" (4).
ولعل حذيفة - رضي الله عنه - يشير إلى هذه الخطبة في قوله : "لقد خطبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خطبة ما ترك فيها شيئاً إلى قيام الساعة إلا ذكره ، علمه من علمه ، وجهله من جهله ، إن كنت لأرى الشيء قد نسيت ، فأعرف ما يعرف ،الرجل إذا غاب عنه فرآه فعرفه" (5).
ولسائل أن يسأل أين هذه الخطبة؟ وهـــل رُويت بنصها في كتب السنة؟ والذي أراه أنها رويت مقطعة في أحاديث الفتن ، وفي الحـــديثـيـن السابقين ما يشير إلى نسيان كثير من الصحابة لها ، "فأعلمنا أحفظنا" و"علمه من علمه وجهله من جهله" ثم حال حذيفة مع بعض الفتن التي يذكر حديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عنها بعد وقوعها!
ويبدو أن حذيفة أعلم الصحابة بالفتن ، فهو يـقـــول : "أخبرني رسول -صلى الله عليه وسلم- بما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، فما منه شيء إلا قد سألته ، إلا أنى لم أسأله ما يخرج أهل المدينة من المدينة" (6)..
ويبدو أن حذيفة كان يتحرج من ذكر كل ما يعلم من أمر الفتن ، خشية أن يكون بعض ما يعلمه مما أسرَّ به النبي -صلى الله عليه وسلم- إلـيـــه دون غيره من الصحابة، وهذا ما يبدو في قوله التالى: "والله إني لأعلم الناس بكل فتنة هى كائنة فيما بيني وبين الساعة، وما بي إلا أن يكون رسول -صلى الله عليه وسلم- أسر إليَّ ذلك شيئاً لم يحدثه غيري ، ولكن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال وهو يحدث مجلساً أنا فيه عن الفتن : فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يعد الفتن : »مـنـهـن ثلاث لا يكدن يذرن شيئاً، ومنهن فتن كرياح الصيف ، منها صغار ومنها كبار« ، قال حذيفة : فذهب أولئك الرهط كلهم غيري" (7).
ومن الأمثلة على معرفة حذيفة بتفاصيل الأحداث ما يرويه محمد بن سيرين عن جندب قال : "جئت يوم الجرعة فإذا رجل جالس ، فقلت : ليهرقن اليوم ههنا دماء، فقال ذاك الرجل : كلا والله ، قلت : بلى والله ، قال : كلا والله. قلت : بلى والله ، قال : كلا والله ، إنه لحديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثنيه . قلت : بئس الجليس لي أنت منذ اليوم ، تسمعني أخالفك وقد سمعته من رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فلا تنهاني ؟ ثم قلت : ما هذا الغضب ؟ فأقبلت عليه ، وأسأله ، فإذا الرجل حذيفة"(8).
ومن ذلك ما يرويه حذيفة عن حوار دار بينه وبين عمر عن الفتن ، وذلك في قوله : "كنا جلوساً عند عمر - رضي الله عنه - فقال : أيكم يحفظ قول رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في الفتنة؟ قلت : أنا كما قاله ، قال : إنك عليه

(أو عليها) لجريء. قلت : فتنة الرجل في أهله وماله وولده وجاره تكفرها الصلاة والصوم والصدقة والأمر والنهى. قال : ليس هذا أريد! ولكن الفتنة التى تموج كما يموج البحر. قال : ليس عليك منها بأس يا أمير المؤمنين ، إن بينك وبينها باباً مغلقاً. قال : أيُكسر أم يُفتح؟ قال : يكسر! قال : إذاً لا يُغلق أبداً، قلنا (9): أكان عمر يعلم الباب؟ قال : نعم ، كما أن دون الغد الليلة. إني حدثته حديثاً ليس بالأغاليط. فَهِبْنا أن نسأل حذيفة فأمرنا مسروقا فسأله ، فقال : الباب عمر"(10).
وسياق الحديث نص في أن عمر كان يعرف من أمر تلك الفـتـنــة التي سأل عنها ما كان يعلمه حذيفة.
ويحدث حذيفة أصحابه عن سر تمكنه من أخبار الفتن فيقول : "إن الناس كانوا يسألون رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عن الخير، وكنت أسأله عن الشر. فأنكر ذلك القوم - أي الذين كان حذيفة يحدثهم - فقال لهم : إني سأخبركم بما أنكرتم من ذلك : جاء الإسلام حين جاء فجاء أمر ليس كالجاهلية، وكنت قد أُعطيت في القرآن فهماً، فكان رجال يجيئون فيسألون عن الخير، فكنت أسأل عن الشر! فقلت : يا رسول الله ، أيكون بعد هذا الخير شر كما كان قبله شر؟ فقال : نعم. قلت : فما العصمة يا رسول الله؟ قال: السيف. قال : قلت : وهل بعد هذا السيف بقية؟ قال : نعم ، تكون إمارة على أقذاء، وهدنة على دَخَن ، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : ثم تنشأ دعاة الضلالة، فإذا كان لله يومئذ في الأرض خليفة جلد ظهرك وأخذ مالك فالزمْه ، وإلا فمت وأنت عاضّ على جِذل شجرة، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : يخرج الدجال بعد ذلك ، معه نهر ونار، من وقع في ناره وجب أجره ، وحُط وزره ، ومن وقع في نهره وجب وزره ، وحط أجره ، قال : قلت : ثم ماذا؟ قال : ثم ينتج المهر فلا يركب حتى تقوم الساعة" (11).
وقد جاء بعد نص الحديث أن قتادة - وهو أحد رواته - فسر الشر الذى تكون العصمة منه بالسيف بالردة التي حدثت في زمن أبى بكر (رضي الله عنه) .
وإذا كان النبي -صلى الله عليه وسلم- قد حدث أصحابه حديـثـاً عاماً عن الفتن التى ستحدث في أزمان تالية - قد يعاصرونها وأكثرها يأتي بعد أن يفارقوا الدنيا - فقد عهد إلى بعض أصحابه عهوداً خاصة بشأن فتن يمرون بها وتصيبهم! ، يحدثنا كعب بن عجرة - رضي الله عنه - فيقول : "ذكر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فتنة فقربها! فمر رجل مقنع على رأسه ، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "هذا يومئذ على الهدى، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ، ثم استقبلت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فقلت : هذا؟ قال : هذا" (12).
ولعل في هذا الحديث والأحاديث التالية ما يفسر لنا موقف عثمان فـي الفتنة التي أودت به! وصبره عليها ونهيه المسلمين عن القتال دونه فيها، وقوله لأبي

هريرة الذي كان معه في بيته يوم حصر فيه : "يا أبا هريرة، إنما تراد نفسي، فعلامَ نقـتـل الـنـاس؟ أحتسب بنفسي عن الناس" (13). وقد روت عائشة - رضي الله عنها - حديثاً كانت قد نسيته في غمرة الفتنة، وذكرته بعد مقتل عثمان وهو ذو دلالة على ما نحن فيه : عن عائشة قالت : "قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم- : »يا عثمان ، إن ولاك الله هـــذا الأمــر يوماً فأرادك المنافقون أن تخلع قميصك الذي قمَّصك الله فلا تخلعْه ، فلا تخلعه ، فلا تخلعه« ، قال النعمان - راوي الحديث - فقلت لعائشة : ما منعك أن تُعْلمي الناس بهذا؟ (يعنى أيام الفتنة وحصار الناس لعثمان) ، قالت : أُنسيته"(14).
وعنها - رضي الله عنها - قالت : "قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في مرضه : وددت أن عندي بعض أصحابي. قلنا: ألا ندعو لك أبا بكر؟ فسكت. قلنا: ألا ندعو لك عمر؟ فسكت ، قلنا: ألا ندعو لك عثمان. قال : نعم. فجاء، فخلا به ، فجعل النبي -صلى الله عليه وسلم- يكلمه ووجْه عثمان يتغير. قال قيس (أحد رواة الحديث) : فحدثني أبو سهلة - مولى عثمان -أن عثمان بن عفان قال يوم الدار: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- عهد إليَّ عهداً فأنا صائر إليه. وقال علي في حديثه : وأنا صابر عليه. قال قيس : فكانوا يرونه ذلك اليوم" (15).
وقد جاء في حديث أبي موسى الأشعري - الذي قص فيه خبر النبي -صلى الله عـلـيــه وسلم- مع أبي بكر وعمر وعثمان في بئر أريس ، وقد جاء في شأن عثمان قوله لأبي موسى الأشعري : »ائذن له ، وبشره بالجنة مع بلوى تصيبه«(16).
ومن العهود النبوية الخاصة إلى بعض أصحابه ما يدل عليه هذا الحديث : "عن عديسة بنت أهبان قالت : لما جاء علي بن أبي طالب ههنا- البصرة- دخل على أبي، فقال : يا أبا مسلم ، ألا تعينني على هؤلاء القوم؟ قال : بلى! قال : فدعا جارية فقال : يا جارية أخرجي سيفي ، قال : فأخرجته ، فسلَّ منه قدر شبر، فإذا هو خشب !! فقال: إن خليلي وابن عمك -صلى الله عليه وسلم- عهد إليَّ إذا كانت الفتنة بين المسلمين فاتخذ سيفاً من خشب ، فإن شئت خرجت معك! قال : لا حاجة لي فيك ولا في سيفك"(17).
وهذا أبو ذر يورد لنا حواراً دار بينه وبين النبي -صلى الله عليه وسلم- تضمن وصايا نبوية له في الفتن وموقفه منها:
"عن أبي ذر - رضي الله عنه - قال : قال لي رسول الله -صلى الله عليه وسلم- : كيف أنت يا أبا ذر وموتاً يصيب الناس حتى يقوَّم البيت بالوصيف (يعني القبر) ؟! . قلت : ما خار لي الله ورسوله (أو قال : الله ورسوله أعلم) قال : تصبر. قال : كيف أنت وجوعاً يصيب الناس حتى تأتي مسجدك فلا تستطيع أن ترجع إلى فراشك ، ولا تستطيع أن تقوم من فراشك إلى مسجدك؟! قال : قلت : الله ورسوله أعلم (أو ما خار لي الله ورسوله) .

قـــال : عليك بالعفة. ثم قال : كيف أنت وقتلاً يصيب الناس حتى تغرق حجارة الزيت بالدم؟! قلت : ما خار لي الله ورسوله. قال : الحقْ بمن أنت منه. قال : قلت : يا رسول الله أفلا آخذ سيفي فأضرب مع مَن فعل ذلك؟ قال : شاركت القوم إذاً، ولكن ادخل بيتك ، قلت : يا رسول الله فإن دُخل بيتي؟ قال : إن خشيت أن يبهرك شعاع السيف فألقِ طرف ردائك على وجهك فيبوء بإثمه وإثمك فيكون من أصحاب النار"(18).
ومن الوصايا الخاصة هذه الوصية التي تلقاها محمد بن مسلمة - رضي الله عنه - من النبي -صلى الله عليه وسلم- : "عن أبي بردة قال : دخلت على محمد بن مسلمة فقال: إن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-قال : »إنها ستكون فتنة وفرقة واختلاف ، فإذا كان كذلـك فـأتِ بسيفـك أُحُـــداً فـاضـربه حتى ينقطع ، ثم اجلس في بيتك حتى تأتيك يدٌ خاطئة، أو منيّة قاضية"(19).
ونجد إلى جانب هذه الوصايا الخاصـــة الموجهة إلى راوي الحديث وصايا عامة مضمنة في الأحاديث التي تنبئ عن الفتن وأخبارهـــا، وتدل المسلم الذي يعاصرها على ما ينبغي أن يفعله ليتقي شرها. فها هو النبي -صلى الله عليه وسلم- يوجه الخطاب إلى مَن هم جلوس بين يديه فيقول : »كيف بكم وبزمان يوشك أن يأتي يغربل الناس فيه غربلة، وتبقى حثالة من الناس قد مرجت عهودهم وأماناتهم فاختلفوا وكانوا هكذا (وشبَّك بين أصابعه)؟ قالوا: كيف بنا يا رسول الله إذا كان ذلك؟ قال : تأخذون بما تعرفون ، وتدَعون ما تنكرون ، وتُقبلون على خاصتكم ، وتذرون أمر عوامكم" (20) .
* يتبع *

الهوامش :

1 - مختصر صحيح مسلم للمنذري ، ص528.
2 - المصدر نفسه.
3 - انظر: المصدر السابق : قصة ابن صياد والدجال ، ص 540، وما بعدها..
4- م.ن. ، ص529-530.
5 - اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، لمحمد فؤاد عبد الباقي ، 2/304.
6- مختصر صحيح مسلم ، ص529.
7 - م.ن. ، ص529. (صحيح مسلم بشرح النووي).
8 - م.ن. ، ص530، ويوم الجرعة يوم خرج فيه أهل الكوفة يتلقون والياً ولاه عليهم عثمان فردوه ، وسألوا عثمان أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري فولاه.
9 - قائل هذا راوي الحديث عن حذيفة ..
10 - اللؤلؤ والمرجان ، 3/304، وصحيح سنن ابن ماجه للألباني 2/353.
11 - الفتح الرباني في ترتيب مسند الإمام أحمد ، ج24، ص25-26.

12- صحيح سنن ابن ماجه ، 1/24-25.
13 - كتاب المحن ، لمحمد بن أحمد التميمي، تحقيق يحيى الجبوري ، ص43.
14 - صحيح سنن ابن ماجه ، 1/25.
15- صحيح سنن ابن ماجه ، 1/25.
16- مختصر صحيح مسلم ، 434 .
17 - صحيح سنن ابن ماجه 2/356.
18 - م.ن. ، 2/355.
19 - م.ن. ، 2/357.
20 - م.ن. ، 2/354.

صراع الأفكار

د.محمد محمد بدري

ليس كل ما يعلم يقال ، وليس كل ما يـقــال يقـال في كل وقت. ففي بعض الأوقات يكون الصمت هو الواجب ، فإذا استغل الأعداء هذا الصمت كان الكلام هو الواجب. وهذا المقال محاولة للتوفيق بين واجب الصمت وواجب الـكـلام في طبيعة الصراع بين الإسلام وأعدائه ، وبعد قراءة المقال يكفي القارئ أن يفتح عـيـنـيـه على الواقع ليرى أمارات هذا الصراع، بــل ربمـا يستخلــص من الوقائع المعروضة نتائج لم تلفت انتباهنا، أو أغفلناها خلال هذا المقال احتياطاً من التطويل ورغبة في التحديد. وكل ما نتمناه أن يقوم في الحركة الإسلامية من يتصدون لكشف سـبـيـل أعـدائـهـــا "سـبـيل المجرمين" حتى لا تبقى الحركة معرضة لهجماتهم دون عون أو نجدة.

إن من سنن الله الجارية التدافع أو الصراع بين الحق والباطل ، قال - تعالى - : ((وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ))[البقرة:251] ، فالله - عز وجل - يدفع بأهل الحق أهل الباطل ، وهكذا يستمر الصراع بين الأنبياء وأتباعهم ، وأتباع الشيطان ، بين الأنبياء والجماعات الضالة الذين يرفـضـون حـكـم الله وشـريـعـتـه ويتمسكـــون بحكم الجاهلية، ولن ينتهي هذا الصراع حتى تنتهي الدنيا.

ولاشــك أن للأفكار قيمة كبيرة كأداة من أدوات الصراع بين الحق والباطل ، وما سلوك الإنسان وتصرفاته
إلا نتيـجــة لأفكاره ، فإذا تغيرت أفكاره بجهده هو أو عن طريق جهد غيره فإن سلوكه يتغير، وهذا التغيير قد يصل إلى النقيض ، فهناك فكرة قد تجعل إنساناً ينحني ويسجد لصنم من الحـجــر، وفـكـــرة أخرى تجعل إنساناً آخر يحمل الفأس ليكسر ذلك الصنم ويحطمه!

ولأن الأفكار بهذا القدر من الأهمية في الصراع بين الحق والباطل فإنه ومنذ تقرر في أوكار الصهيونية تدمير الخلافة الإسلامية وأعداء الإسلام يحرصون على تخريب الفكر الإسلامي وتشويه العقل السليم من ناحيـــة، ومن ناحية أخرى يقومون برصد الأفكار الفعالة التي تحاول إيقاظ الأمة من سباتها، لكي يقضوا عليها في مهدها أو يحتووها قبل أن تصل إلى جماهير الأمة فتصحح وجهتها أو تعدل انحرافات أفرادها، ولتبقى الجماهير إذا اجتمعت تجتمع على أساس العاطفة وتحت سلطانها، وليس على أساس "الفكرة .. والمبدأ.." .
وأعداؤنا يستخدمون في ذلك مراصد دقيقة تتلقى أي إشارة خطر عن فكرة أو كتاب ربما قبل أن تصل الفكرة إلى جماهير الأمة! فماذا يفعل الأعداء عندما تعطيهم مراصدهم تلك الإشارة ؟ كيف يتصرفون ليحُولوا بينها وبين المجتمع الذي يحاول صاحبها نشر الفكرة فيه ؟
إنهم في البداية يتعرفون على الـفـكـــرة بدراستها دراسة دقيقة، ثم يبدأون فيما يمكن أن نسميه مرحلة "المواجهة" وفي هذه المرحلة يبذل الأعداء جهداً ضخماً ويستخدمون مواهبهم الشيطانية كلها حتى لا يكون لتلك الفـكـرة أي عائد أو نتيجة.. ووسائلهم في ذلك كثيرة، وهم يغيرون منها دائماً ويعدلون فيها تمشـيــاً مع القاعدة التى تقول : "إن كل فخ عُرف مكانه يصبح دون جدوى" ، فوسائلهم تتنوع حـســب الظـروف مع المحافظة على المبدأ الأساسي وهو "تحطيم الفكرة أو شلّها" !!
فهم تارة يصوبون ضرباتهم على اسم صاحب الفكرة وشخصه ؛ لكي يصيبوا فكرته بحيث يصلون إلى أن يصبح اسم صاحب الفكرة كافياً في النفور منها بل ومن الكتاب الذي يضمها وعدم قراءته من الكثيرين الذين يحكمون على فكرة معـيـنة أو كتاب معين وفق انعكاسات حدثت تجاه صاحبها وبمقتضى الكلام عن صاحب الفكرة والكتاب وليس من خلال جوهر الفكرة وما فيها من برهان.
وهم تارة يستخدمون طريقة "الهُتافات والشعارات" وهم في هذه الطريقة يرتكزون على ميل أفراد الحركة الإسلامية إلى السهولة فيصوغون الفكرة في مجموعة من الشعارات والهتافات فيتحول الأفراد عن "مشقة" البناء إلى "سهولة" الشعارات والهتافات!!
وفي أحيان أخرى يستخدم الأعداء طريقة "التشويش" عن طريق إضافة مجموعة من الأفكار الثانوية إلى الفكرة الأصلية بحيث تُضعف هذه الأفكار الثانوية سلطان الفكرة الأصلية على العقول ، ويكفينا أن ننظر في واقعنا لنرى كم مرة طُبقت هذه الطريقة معنا وكم مرة شاركنا فيها دون وعي؟؟!
وتارة أخرى يستخدم الأعداء أسلوب إثارة الشبهات.. فإذا خرجت الفكرة في صورة كتاب يقدم أيديولوجية واضحة للصراع مع الأعداء، ألقوا على هذا الكتاب ما يشوه صورته أمام أفراد الحركة الإسلامية، وخلقوا حوله شبهات

كثيرة بحـيـث لا يسهل إزالتها فينصرف أفراد الحركة عن مجرد الاطلاع على الكتاب لكثرة ما أثير حـوله .. ولا نريد أن نضرب أمثلة ! فكم من كتب طيبة فرض أفراد الحركة الإسلامية حول أنفـسـهـم ستاراً حديدياً يمنعهم من قراءتها لهذا السبب!

وفي أحيان أخرى يستخدم الأعداء طريقة "الاستبدال" فيطلقون هم أنفسهم فكرة جديدة تكون أقل ضرراً على مصالحهم من الفكرة ا لأصلية.

وهكذا يبقى الصراع مع الأفكار.. ونحن إذ اكتشفنا بعض التفاصيل عن طبيعة هذا الصراع فبقية التفاصيل الكثيرة للصراع تبقى في الظلام ، ويصعب وصفها كما يصعب وصف بيت العنكبوت ، وخاصة إذا كانت خيوطه تأتي من بعيد ولا يحيط بها بوضوح إلا من وفقه الله - عز وجل - وأضاء بصيرته.

ولكننا إذا أردنا الإجمال قلنا إن الأعداء يحاولون أن يجعلوا من الداعية للحق "خائناً" لأمته ومجتمعه الذي يعيش فيه ، فإن لم يستطيعوا ذلك فإنهم يحاولون أن يحققوا خيانة المجتمع للداعية على يد بعض المجرمين الذين يسيرون في ركب الأعداء على مرأى العيون في صورة رجال مرفوعين على منابر الزعامة وكراسي الحكم ، رجال وضعوا في أوطانهم مواضع "الأبطال" ليقوموا بدورهم المرسوم حين تفشل خطط الأعداء في تحطيم الأفكار الطيبة، فيقوم هؤلاء بأمر آخر وهو محاولة تحطيم أصحاب الأفكار عن طريق الإرهاب والتعذيب لهم ولأفراد أسرهم أطفالاً ونساءً!

هذا هو مكر الأعداء فما هو السبيل لدفعه والنصر عليهم ؟

بادئ ذي بدء نقول إن الأعداء يحاولون أن يصوروا لنا الصراع معهم وكأننا ذرّة تريد أن تحطم جبلاً ! ، وأنه من العبث محاولة دفعهم فضلاً عن التغلب عليهم .

ولكن الأمر ليس بيد الأعداء، إنه بيد مَن يقدر الأشياء فتسير الذرة ويسير الجبل حسب تقديره ، وقوة الأعداء مهما بلغت وكيدهم مهما قوي فهو ضعيف لأنه كيد شيطان ((إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً))[النساء:76] .

ودفْعه منوط بما في أنفسنا نحن ، قال - تعالى - : ((وإِن تَصْبِرُوا وتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً))[آل عمران:120] ، وسُنة الله في التغيير ((إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ))[الرعد:11] فسنة الله التي لا تتخلف : غَيِّرْ نفسك تغير واقعك.. فلنغير في أنفسنا ما يستغله أعداؤنا لخدمة أهدافهم من حيث نشعر أو لا نشعر ! .

فإذا كان الأعداء يستغلون فينا ميلنا للسهولة فيصوغوا الفكرة في مجموعة شعارات تسد منافذ إدراكنا وتضللنا عن حقيقة الصراع فلنتعلم أنه ليس المهم الصيحة التي يوجهها الضارب مادامت الضربة توجَّه إلى العدو الحقيقي وفي الاتجاه الصحيح ، كما يجب أن نتخلص مما في نفوسنا من ميل للنظر إلى الأشياء على أنها "سهلة" والذي يقودنا في كثير من الأحيان إلى نشاط أعمى!

وإذا كان الأعداء يحاولون تحطيم الفكرة الطيبة عن طريق تشويه صاحبها أو إثارة الشبهات حولها، فلنتعلم أن نحكم على الأفكار من خلال ما فيها من برهان بعيداً عن منطق الغوغاء!
وفي مقابل محاولة الأعداء "استبدال" بفكرة أقل ضرراً على مصالحهم بالفكرة الفعالة ؛ لابد من الوضوح في فكر الدعوة وأهدافها ليسهل على الأفراد التمييز بين الغث والثمين ، وفي مقابل إرهاب الأعداء لابد أن نؤمن بحتمية المحنة والابتلاء ولنعلم أننا لسنا أول الممتحنين ولن نكون آخرهم وإنما هم مواكب ((فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ ومِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ومَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً))[الأحزاب:23] .
ولنعلم أنه بقدر ما نربي أنفسنا بطريقة جيدة، بقدر ما نستطيع أن نصمد لكيد الجاهلية، ونجاحنا في الصمود لذلك الكيد هو نقطة التحول في خط سير الدعوة نحو هدفها المنشود.
وأخيراً فأفكار هذا المقال وليدة النظر إلى ما يجري في الواقع .. واقع الصراع مع الأعداء حاولنا فيه النصح لجميع إخواننا لنحاول جميعا - نحن وهم - إزالة الجهالة بسبيل المجرمين والتي كانت في كثير من الأحيان سبباً في تخلفنا وهزيمتنا. وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى .

شذرات وقطوف

الأُخوة .. والاختبار الحق

إعداد : نجوى محمد الدمياطي

يقول - سبحانه وتعالى - : ((إنَّمَا المُؤْمِنُونَ إخْوَةٌ))[الحجرات:10] ... والأخوة من أجمل المعاني التي يمكن أن يتحدث عنها الإنـسـان ! شفـيـفـة لطـيـفـة كالـنور! ندية محببة إلى القلوب... ولكن ما الأخوة التى وردت الإشارة إليها في كتاب الله؟ يستطيع اثنان من البشر وهما يسيران في الطريق الواسع - في الأمن والسلامة - أن يتاخيا! أن يـسـيرا معاً وقد لف كل منهما ذراعه حول أخيه من الحب.. ولكن انظر إليهما وقد ضاق الطريــق ، فلا يتسع إلا لواحد منهما يسير وراء الآخر.. فمَن أقدم؟ أقدم نفسي أم أقدم أخي وأتبعه؟
ثم انظر إلى الطريق وقد ضاق اكثر.. فلم يعد يتسع إلا لواحد فقط دون الآخـــر! إنها فرصة واحدة.. إما لي وإما لأخي.. فمن أقدم؟ أقول : هذه فرصتي وليبحث هو لنفسه عن فرصة؟ أم أقول لأخي : خذ هذه الفرصة أنت ، وأنا أبحث لنفسي؟! هذا هو "المحك".
إن الأخــوة في الأمن والسلامة لا تكلف شيئاً ! ولا تتعارض مع رغائب النفس .. بـل هـى ذاتها رغـبة من تلك الرغائب يسعى الإنسان لتحقيقها مقابل الراحة النفسية التى يجدها في تحقيقها ... أما فـي الشدة - أو في الطمع -

فهنا تختبر الأخوة الاختبار الحق ، الذي يتميز فيه الإيثار وحب الآخرين.. من الأثرة وحب الذات ، التي قد تخفى على صاحبها نفسه في السلام والأمن ، فيظن نفسه "أخاً" محققاً لكل مستلزمات الأخوة!

محمد قطب - واقعنا المعاصر

جهاد النفس

جهاد النفس أربع مراتب :

أحدها أن يجاهدها عـلـى تعلـم الهدى ودين الحق الذي لا فلاح لها ولا سعادة في معاشها ومعادها إلا به متى فاتها علمه شقيت في الدارين.

الثانية : أن يجاهدها على العمل به بعد علمه وإلا فمجرد العلم بلا عمل إن لم يضرها لم ينفعها...

الثالثة: أن يجاهدها على الدعوة إليه وتعليمه من لا يعلمه ، وإلا كان من الذين يكتمون ما أنزل الله من الهدى والبينات ، ولا ينفعه علمه ولا ينجيه من عذاب الله .

الرابعة : أن يجاهدها على الـصـبر على مشاق الدعوة إلى الله وأذى الخلق ، ويتحمل ذلك كله لله. فإذا استكمل هذه المراتب الأربع صار من الربانيين ، فإن السلف مجمعون على أن العالم لا يستحق أن يسمى ربانياً حـتـى يـعـرف الحـق ويعـمـل به ويعلّمه ، فمن علِم وعلّم وعمل فذاك يدعى عظيماً في ملكوت السماء.

ابن قيِّم الجوزية - زاد المعاد 2/39

ومن يبتغِ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه

عثمان جمعة ضميرية

إن جميع ما في الأرض من مختلف الديانات، إنما سميت بأسمائها:إما نسبة إلى اسم رجل خاص ، أو أمة خاصة، ظهرت الديانة وترعرعت بين ظهرانيها، أو باسم بلد نشأت فيه.

فاليهودية : سميت بهذا الاسم نسبة إلى أرض اليهودية، أو لأنـهـا ظـهـرت بـين ظهراني قبيلة تعرف "بيهودا" ويسمى أيضاً أتباعها "الموسويين" نسبة إلى موسى (عليه السلام) .

والنصرانية : سميت بهذا الاسم نسبة إلى بلد الناصرة ، بلد الـمـسـيـح (عـلـيـه السلام) ، وتسمى أيضاً: المسيحية، نسبة إلى المسيح (عليه السلام) ، ويسمى أتباعها "المسيحيين" ، نسبة إلى المسيح أيضاً.

وهـكـذا اشـتـهـرت البوذية - مثلاً - بهذا الاسم نسبة إلى "بوذا" ، باني هذه النِّحـلـة، وكذلك : الزرادشـتـيـة أخذت اسمها من حامل لوائها، وهو: زرادشت... الخ .

أمـا الإسلام - الـدعـوة العالـمـيـة الإنسانية، الذي ختم الله (تعالى) به الرسالات السماوية السابقة كلها - فإنه لا ينتمي إلـى أمــة بعـيـنها، ولا إلى بلد ظهر فيه ، بل ولا إلى النبي الذي أنزله الله عليه. وإنما يدل اسمه على صفة خاصة، يتضمنها معنى كلمة "الإسلام".
ومما يظهر من هذا الاسم : أنه ما عني بإيجاد هذا الدين وتأسيسه رجل من البشر، وليس خاصاً بأمة بعينها، دون سائر الأمم ، وإنما غــايـتـه أن يحلي أهـــل الأرض جميعاً بصفة الإسلام.
وكما اختص الله - تعالى - هذا الدين باسم "الإسلام" اختص أيضاً هذه الأمة باسم "الأمة المسلمة" وباسم "المسلمين" ولعلنا نلمح من خلال هذا الاختصاص جمـلـة معانٍ بارزة كانت وراء الاختصاص بهذا الاسم ، نشير هنا إلى أهمها :
ففي ذلك تكريم وتشريف لهذه الأمة على غيرها، حيث اختصها الله - تـعـالـى - بـاسـم أطـلـقـــه عـلـى أنـبـياء الأمم السابقة، فكانوا هم المسلمين ، وهذه الأمة هي الأمة المسلمة، وبذلك تتأكد وشائج الصلة بين هذه الأمة وبين مَن سبقها، فهى ليست مقطوعة النسب ، وليست بدعاً بين الأمم ، وفي هذا تشريف لها أي تشريف ! .
وفي هذه التسمية والاختصاص بها استجابة لدعاء إبراهيم - عليه السلام - إذ قال : ((رَبَّنَا واجْعَلْنَا مُسْلِـمَــيْـنِ لَكَ ومِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ))[البقرة: 128] ، فالذرية المسلمة والأمة المسلمة من نسل إبراهيم - عليه السلام - وهو الذي سماها أيضاً بهذا الاسم : ((هُوَ سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ مِن قَـبْـلُ وَفِـي هَـذَا لِـيَــكُـونَ الــرَّسُولُ شَهِيداً عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ))[الحج: 78] .
واشتملت شريعة الإسلام على فواضل العبادات والتشريعات ، مما انفردت به بين جميع الرسالات ؛ من الجهاد ، والحج ، والوضوء، والغسل من الجنابة، ونحو ذلك مما اختصت به الأمة المسلمة، ولم يكتب على غيرها من الأمم ، وإنما كُتب على الأنبياء فقط.
وفي هذه الأمة تحقق معنى الإسلام ، الذي هو الاستسلام والانقياد والإذعان لرب العالمين، ولم تذعن أمة لنبيها وتتابعه كما أذعنت هذه الأمة، وقبلت ما جاء به من عند الله ، وانقادت له بلا اعتراض ، فاستحقت بسبب تلك المعاني كلها : الاختصاص باسم الأمة المسلمة، واختصت بالخيرية بين الأمم، فقال الله-سبحانه وتعالى-:((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وتَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ))[آل عمران:110]
وإذن فقد أصبحت كلمة "الإسلام" مختصة - عرفاً وشرعاً - بمدلول معين هو: مجموعة الشرائع والأحكام التي أنزلها الله - تعالى - على محمد -صلى الله عليه وسلم- ، أو التى استُنبِطت مما جاء به.

وهذه الرسالة التى أنزلها الله - تعالى - على محمد -صلى الله عليه وسلم- بلغت ذروة الكمال ، وجاءت دعوة إنسانية عالمية خاتمة، رضيها الله - تعالى - للناس ديناً ، فأعظم بها المنة، وأكمل بها الدين وأتم النعمة : ((اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ورَضِيتُ لَكُمُ الإسْلامَ دِيناً))[المائدة:3] .
وبعد أن كان كل رسول من الرسل يرفع راية التوحيد ويهتف بقومه : يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره . أو : ((قَالَ يَا قَوْمِ إنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ))[نوح: 2] ، جاء خاتم النبيين -صلى الله عليه وسلم- ، وجمع كلمة المرسلين ، فجمع الرايات كلها تحت راية واحدة وجعل ينادي : ((يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ))[البقرة:21] . ((هَذَا بَلاغٌ لِّلنَّاسِ ولِيُنذَرُوا بِهِ))[إبراهيم:52] .
ولقد فصَّل الله - تعالى - في القرآن الكريم سمات هذه الدعوة العالمية العامة، وعرضها على أعين الناس في كثير من آياته ، فقال - تعالى - : ((قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنِّي رَسُولُ اللَّهِ إلَيْكُمْ جَمِيعاً الَذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ))[الأعراف:158] ، ((تَبَارَكَ الَذِي نَزَّلَ الفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيراً))[الفرقان:1] .
وأشار الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلم- إلى عموم بعثته وعالمية دعوته فقال : »أُعطيت خمساً لم يُعطَهن أحد قبلي : نُصرت بالرعب مسيرة شهر، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصلِّ ، وأحلت لي المغانم ، ولم تحل لأحد قبلي، وأُعطيت الشفاعة، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبُعثت إلى الناس عامة« متفق عليه .
وقال -صلى الله عليه وسلم- : »فُضِّلت على الأنبياء بست : أُوتيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون« متفق عليه.
ومن ثم كان محمد -صلى الله عليه وسلم- خاتم الأنبياء والمرسلين ، وكانت رسالته خاتمة الرسالات جميعا، قال الله - تعالى - : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ولَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وخَاتَمَ النَّبِيِّينَ))[الأحزاب:40] .
ويصور النبي -صلى الله عليه وسلم- ختم رسالته للرسالات السابقة، وكيف أنه أتم البناء الذي تعاقبت عليه رسل الله الكرام ، فيقول : »مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً، فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه ، فجعل الناس يطوفون به ، ويعجبون له ، ويقولون : هلاّ وُضعت هذه اللبنة ؟ فأنا اللبنة، وأنا خاتم النبيين« متفق عليه .
وإذا كان محمد -صلى الله عليه وسلم- قد أرسل من عند الله - تعالى - بدين قد بلغ ذروة الكمال الذي لا كمال بعده ، وتوجه الخطاب فيه للعالمين جميعاً ، وختم الله - تعالى - به الرسالات ، فإن النتيجة المنطقية اللازمة لذلك كله : أن تنقطع صلة الإنسانية عن سائر الرسالات والنبوات السابقة في الطاعة

والاتباع ، مع الإيمان بأصولها المنزلة من عند الله - تعالى - لا بما آلت إليه بعد التحريف على يد الأتباع ، مما جعلها لا تتصل بأصل الوحي المنزل من عند الله (تعالى) .
فكل ما جاء به الأنبياء السابقون قد نسخ برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- ، وارتبطت عندئذ الإنسانية كلها برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- وتعليمه وأسوته الحسنة ؛ إذ إن المبدأ الصحيح يقتضي :
1 - أن لا تعود الإنسانية بحاجة إلى الناقص بعد أن جاءها الكامل .
2- أنه قد لعبت يد التحريف والإهمال بتعاليم وسيرة الأنبياء السابقين ، مما لم يعد من الممكن - لأجل هذا - أن تتبعهم الإنسانية فعلاً .
ومن هنا فإن الله - تعالى - عندما يأمر باتباع الرسول وطاعته يأتي بهذه الكلمة معرفة بالألف واللام ؛ لتكون خاصة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- : ((وأَطِيعُوا اللَّهَ والرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))[آل عمران:132] .
وبعد .. فهذه هي الرسالة وهذا هو الدين الذي لا يقبل الله - تعالى - من البشرية غيره ، ويجب على البشرية كلها أن تفيء إليه : ((ومَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ))[آل عمران:85]

من كنوز القرآن

صرف الهم إلى العمل الحاضر (*)

ستر الجعيد

إذا اهتم الإنسان بعمله الحاضر، وأقبل عليه بعزيمة قوية، استطاع أن ينجز فيه شيئاً كثيراً ، أو ينجزه في فترة زمنية قصيرة، حينما تقارن بآخر أقبل على العمل بتردد، وفتور همة، وتطلعات مستقبلية تشغله عن العمل الحاضر، ودخول في جدل حول ماذا سيفعل في المستقبل؟ دون ما حاجة إلى ذلك.
فكما أن عمل اليوم لا يؤجل إلى الغد، فكذلك عمل الغد لا يقدم على عمل اليوم ، وهذه القاعدة دعا إليها القرآن في آيات كثيرة، وهى تدل على حكمته - سبحانه وتعالى - كما أنها من أعظم ما يكون سبباً في رقي العالمين إلى الخير الدينى والدنيوي ، فإن العامل إذا اشتغل بعمله الذي هو وظيفة وقته ، قصر فكره وظاهره وباطنه عليه فينجح ويتم لـه الأمر بحسب حاله ، وإن تشوقت نفسه إلى أعمال أخرى لم يحن وقتها بعد شُغل بها ثم استبعد حصولها، فتفتر عزيمته ، وتنحل همته ، وصار نظره إلى الأعمال الأخرى كليلاً ينقص من إتقان عمله الحاضر وجمع الهمة عليه ، ثم إذا جاءت وظيفة العمل الآخر جاءه وقد ضعفت همته وقل نشاطه ، وربما كان الثاني متوقفاً على الأول في حصوله أو تكميله فيفوت الأول والثاني ، بخلاف من جمع قلبه وقالبه على كل عمل في وقته ، فإنه إذا جاء العمل الثاني يأتيه

مستعداً له بقوة ونشاط جديدين حصلها من نشاطه وقوته في الأول فيتلقاه بشوق وعزيمة فيفلح وينجح ، وهكذا يكون أبداً متجدد القوى (1).
والأمثلة على القاعدة كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.
فمن الآيات قوله - تعالى - : ((أَلَمْ تَرَ إلَى الَذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وأَقِيمُوا الصَّلاةَ وآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ القِتَالُ إذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً))[النساء:77] .
وقوله - تعالى - : ((ولَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ المَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وأَنتُمْ تَنظُرُونَ))
[آل عمران:143] . وقوله -تعالى-:((ولَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِن دِيَارِكُم مَّا فَعَلُوهُ إلاَّ قَلِيلٌ مِّنْهُمْ ولَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَّهُمْ وأَشَدَّ تَثْبِيتاً))[النساء:66] . ومنه قوله - تعالى - : ((ومِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ ولَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ * فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وتَوَلَّوْا وهُم مُّعْرِضُونَ * فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وعَدُوهُ وبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ)) [التوبة:75-77] .
ومما يؤخذ من لفتات بعض الفقهاء أنهم كانوا يكرهون فرض الصور العقلية للمسائل وإعطاءها حكماً، ليس عجزاً منهم ولكن إدراكاً إلى أن الإغراق في ذلك ليس من وظيفة الوقت الحاضر الذي يعيشونه ، وربما كان ذلك سبباً في فرض حكم مغاير للواقع ، لأن تقدير الواقع في العقل ليس كوقوعه.
وإذا انتقلنا إلى الواقع الإسلامي نجد الإخلال بهذه القاعدة في العمل الحاضر كثيراً وواضحاً، فتجد من يتحدث لك عن أمور من مستقبل الدعوة وخططها لم يحن وقتها بعد، وربما أخذ ذلك من وقته الشيء الكثير، وذاك يتحدث عن قيام الدولة الإسلامية كيف تكون؟ وكيف التعامل معها في الواقع؟ وأحياناً تجد الحديث عن ذلك سابقاً لأوانه، بينما الأمور المطلوبة المهمة والتى تكون طريقاً إلى الخطط المستقبلية مُهمَلة لا يلتفت إليها.
وهذا الاعتدال في النظر إلى الأعمال الحاضرة لا يخل أبداً بالتخطيط المستقبلي للأمور الدنيوية والدينية، ولكن بشرط أن لا يأخذ الحديث عن ذلك التخطيط حجماً كبيراً فيعود على العمل الحاضر بآثار ضارة به ، تزيله أو تضعفه ، وكما أن الآيات أرشدت إلى هذا اهتماماً بالعمل وحرصاً على تحصيل أكبر قدر منه ؛ فإن ذلك يعود على العامل بالارتياح النفسي والاطمئنان أيضاً مما يكون له أثر طيب على نفس المسلم وتقويتها .

الهوامش :

* هذه القاعدة مما نبه عليه الشيخ عبد الرحمن السعدي في كتابه "القواعد الحسان" .

1 - القواعد الحسان لتفسير القرآن ، عبد الرحمن السعدي ، ص136.

الأوزاعي.. إمام أهل الشام

محمد محمد توفيق

هو أبو عبد الرحمن بن عـمرو بن يحمد الأوزاعي، والأوزاعي قيل : إنها نسبة إلى قرية في ضواحي دمشق ، ويظن أنـه غـيـر عـربـي الأصل . وُلد في مدينة بعلبك (لبنان) عام 88هـ/707م ، وولد يتيما ؛ فقاسى من شظف العيش وشـدة الحياة وخصوصاً في صغره .

صفاته :

تقـي وورع ، حـلـم وأنـاة، رزانـة وقلة كلام ، وعدم قهقهة، كان عفيف النفس ، سخياً، صلباً في الحق ، جريئاً في الدفاع عنه ، وكان محدثاً ثقة مأموناً، شهد له الجميع بالفضل والعلم.

رحلاته :

رحل في طلب العلم إلى كل من البصرة، والكوفة، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، ودمشق، وبيروت التي اتخذها موطناً له ورباطاً إلى آخر أيامه.
ويروى أنه أثناء مروره بمقبرة ببيروت ، التقى فيها بامرأة سوداء فسألها: أين العمارة يا هنتاه (أختاه)؟ فأجابت : إن أردت العمارة فهي هذه. وأشارت إلى القبور. وإن كنت تريد الخراب فأمامك ، وأشارت إلى البلد، فأعجبه كلامها، وعزم على الإقامة في بيروت.

شيوخه :

في الفقه : مكحول الشامي.
وفي الحديث : قتادة، ويحيى بن أبي كثير، وعامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح ، وابن شهاب الزهري ، ونافع المدني، ومحمد بن عبد الملك بن مروان الأموي ، وغيرهم.

أقرانه :

الذين اتصل بهم وتفاعل معهم ، منهم : مالك بن أنس ، وسفيان الثوري ، وعبد الله بن المبارك.

تلاميذ5 :

ابنه محمد، وزوج ابنته عبد الغفار بن عثمان ، وعبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، وأرسلان بن مالك اللخمي ، ومحمد بن حرب الخولاني، وعمرو بن أبي سلمة التنيسي ، ومحمد بن زياد (هقل)، والوليد بن مزيد العذري البيروتي، والخيزران زوجة المهدي وأم الهادي وهارون الرشيد، والوليد بن مسلم ، ويحيى بن حمزة الحضرمي، ويحيى بن سعيد القطان. كما روى عنه البخاري ومسلم وأصحاب السنن.

كتبه :

ضاعت كلها إلا كتاب سير الأوزاعي ، ويقال إن له كتاب السنن ، وكتاب المسائل.

مذهبه :

كان له مذهب مستقل انتشر في الشام لأكثر من قرنين من الزمان، وفي الأندلس قرابة نصف قرن، ثـم انـدثـر، ويمـكـن اعـتـباره من مدرسة أهل الحديث، وكان لهذا المذهب أتباع من العلماء أشهرهم : عبد الرحمن بن إبراهيم المعروف بدُحيم، وعبد الله بن إسماعيل،ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام البيروتي، وصعصعة بن سلاَّم بن عبد الله الدمشقي.
وكــان مـفـهـوم الـديــن لديه هو: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المساجد بالصلاة، وتلاوة القرآن ، والجهاد في سبيل الله .
وكان يقول : إن المؤمن يقول قليلاً ويعمل كثيراً، وإن المنافق يقول كثيراً ويعمل قليلاً .
يروى أن نصرانياً أهـدى إلـيه جرة عسل وقال له : يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك، يعني ليشفع له عنده. قال الأوزاعي:إن شئت رددت الجرة وكتبت لك ، وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك، قال: فردّ الجرة، وكتب له، فوضع عنه (أي عن النصراني) ثلاثين ديناراً. وهذا دليل على ورعه وعفته ، وتسامحه ولينه.
ومات في سنة 157هـ/774م ، وعمره 69 عاماً رحمه الله .

البيان الأدبي

الخروج من تحت الأنقاض

د.عمر عبد الله

سنوات الغربة التى يمر بها "جمال" خـلال غـربـته الثانية بدت أقل صعوبة وأيسر معاشاً مما توقع ، فهو بالرغم من عيشه في هذه البلاد ثلاث سـنـوات مـن سنوات الطفولة إلا أنه تهيب من العيش في بيئة مختلفة، وحضارة مغايرة. لكن الأمر كـان أسـهـل وأيـسـر، ففــي المدينة التى يدرس فيها جالية إسلامية نشطة، ونشاط دعوي مميز، أخذ من وقته، وعاش في شعوره حتى أصبح المجتمع الصغير عالمه ومحيطه ، وأصـبـح إخــوة العقـيـدة الذين لم يربطـهم به سوى رابطة الإيمان أشقاء له لم تلدهم أمه، إن جعفر، وعبد الرحمن ، وليث، وزاد الحق ، ومراد... وغيرهم من إخوة الدرب قد أضاءوا سنوات الغربة بذكريات عزيزة، وأناروا الطريق الموحـش بومـضات جد ساطعة، كان اليوم هو آخر أيام الأسبوع الأول من الدراسة، وحينما كان جمال يـهـم بمـغــادرة الجامعة، وجد رسالة على صندوق بريده ، كتب عليها "ج. برهان يود مقابلتك في مكتبه في قسم المحاسبة، غرفة رقم 121 ، في أي

وقت بعد الظهر" حاول أن يتذكر إذا ما كــان الاســم الـمذكور يعني له شيئاً خاصاً، لكن ذاكرته لم تسعفه ، وحين كان في الوقت متسع فقد قـــرر أن يزور صاحب الرسالة في هذا الوقت ، وحينما وصل إلى الغرفة المذكورة، طالعه السكرتير متسائلاً هل من خدمة أقدمها لك ؟ .
- أجاب جمال:اسمي جمال العلي،وجدت رسالة تطلب مقابلة السيد برهان بعد الظهيرة.
كانت لهجته الأمريكية التى اكتسبها خلال تواجده المبكر في هذه البلاد تجعل العديد من الأمريكان يظنون أنه أمريكي من أصل مكسيكي.
- نعم .. إن الدكتور برهان قد طلب مني أن أبلغه بحضورك.. بالرغم من مشاغله الكثيرة، يبدو أنك صديق مخلص له.
- لا أدري ، فهذه المرة الأولى التي أقابله.
- على العموم ، هو شخص لطيف، وهو منذ انتقاله لهذه الجامعة منذ أسابيع وهو يكسب العديد من الأصدقاء والمعجبين ، إنه انسان رائع.. لحظة من فضلك. دخل السكرتير الغرفة بينما بقي جمال يحاور نفسه ويحاول أن يتذكر مرة أخرى لعله يفلح في الاستذكار.. بدون جدوى.
- السيد برهان في انتظارك.
- شكراً.
دخل جمال الغرفة وما إن وقع نظره على السيد جمال حتى أدرك أنه يقابل وجهاً أليفاً، لكنه لم يستطع أن يتذكر ما تعنيه تلك الملامح بالنسبة له ، واستفتحه بلغة عربية صافية.
- أهلاً بالسيد العلي.. أنا جميل برهان ، أعمل حالياً رئيسا لقسم المحاسبة في الجامعة، ربمـا أنـك لا تعرفـنـي، كان منظره يوحي برؤية إنسان أمريكي تماماً ، لا يدل على كونه عربياً سوى اسمه ، ولغته العربية المحكية بلهجة فلسطينية.
- حقيقة إن وجهك مألوف بالنسبة لي،لكني لا أستطيع أن أتذكر أين رأيتك،ومَن تكون!.
- حتى بالنسبة لي فأنا أجد صعوبة بالغة في التعرف عليك ، بالرغم من معرفتي القديمة بك؟
- بي.. أين.. ومتى ؟!
ضحك جميل برهان حتى بدت أنيابه.
- منذ زمن طويل ، وطويل جداً، لكن دعني أعطِكَ إشارة مساعدة، لقد عشت وقتاً طويلاً في أن "آربر" ، وبالتحديد قبل خمسة عشر عاماً... فهل تساعدك هذه الإشارة ؟
- ربما، فقد عشنا في نفس المكان وأنا طفل ، في نفس الفترة تقريباً.

- حسناً، أنت في الطريق الصحيح ، وربما أنك لا تذكر صديقاً لوالدك كان يدرس معه في نفس القسم ، يحمل نفس الاسم ؟
- لا أذكر.
- كنت أتوقع ذلك ، يسرني أن أقول لك إن أباك إبراهيم العلي كان من أعز أصدقائي، في تلك الفترة على الأقل ، لقد كان رجلاً ودوداً وكريماً معي، بالرغم من عدم اتصالنا ببعض لفترة طويلة.. طويلة جداً.
- لكني لا أزال أذكرك ، وأنت طفل صغير، حينما كان أبوك يدعوني في أيام ذلك الصيف في حديقة منزلكم لنتناول الحديث ، ونتناسى الهموم.
- لا أذكر، فقد كان لأبي الكثير من الأصدقاء، وكنت في تلك الفترة أعيش فترة الطفولة باستغراق جميل.
- لقد دهشت حينما رأيتك فبالرغم من معالم الشبه بينك وبين أبيك : فإنك تبدو مختلفاً في المظهر على الأقل.
- ربما ...
أدرك جمال ما يعنيه الدكتور برهان ، فلحيته المعفاة كانت علامة مميزة في محيط الجامعة.
- وماذا تدرس الآن في هذه الجامعة؟
- أحضّر الماجستير في الهندسة النووية.
- جميل.. رائع.. وهل أنت متأقلم في هذه الجامعة والمدينة ؟ .
- نعم.. فالأمور تجري بشكل جيد.
- جميل.. إننى أشعر بلذة في اجترار الماضي ، أليس ممتعاً أن تستعرض تلك الأيام الحلوة مع شخص عاش ذات الظروف.
- نعم ، خصوصاً إذا كان يحمل نفس الهموم والآلام.
التقط ، د.برهان الحديث ، ورد بلهجة استرجاعية مسترخية.
- نعم ، كم كان جميلاً لو أن إبراهيم كان معنا، لقد كان - كما قلت ووصفت - صديقاً رائعاً تقاسمنا الهموم والآلام سوياً ، كانت المرحلة التى نحياها مرحلة شباب وزخم ، وقد التقينا في صيف عام 1966م ، كنت وأبوك نعيش حالة من الفرح الكاذب والأمل الواهم ، كانت أمريكا تغرق تدريجياً في وحل فيتنام ، فنرى في ذلك هزيمة لروح التسلط التى كانت تمارسها هذه البلاد بوقاحة في تلك الأيام ، وننام ونصحو على شعارات قرب زوال الظلم ، وإلقاء "إسرائيل" في البحر، ولا تسأل اللاجئ الذي كان يضع رهانه على تلك الدول ولا الشباب المتأثر بالناصرية كإبراهيم ، والذي رأى فيها حلم شبابه.
- صدقت كان أبي ناصرياً مثالياً، ألا يكفيك أن اسمي خير دليل على ذلك .
- نعم.. لازلت أتذكر حالة الإحباط والتعاسة التى أحاطتنا في صيف عام 1967م ، حتى أننا كنا نتحاشى أن نذهب للجامعة حيث كان الصهاينة

وأصدقاؤهم الكثيرون يشعروننا بأننا نعيش هزيمة أخرى، لقد كانت أياماً قاسية! لكن خبّرني ما هي أخبار والدك؟
- إنه بخير، وهو علي وشك التقاعد، للتفرغ لأعماله.
- وهل لا يزال مثالياً؟ أعني ناصرياً مخلصاً؟
- كلا ولكن سأسألك نفس السؤال؟
- لقد أصبحت أمريكياً .. (يضحك) ، أمريكياً مخلصاً، خلعت أشياء كثيرة لكي أصل إلى ما أنا فيه ، تركت المثاليات ، يممت شطر الجانب الأكاديمي ، وها أنا ذا أحقق معظم أحلامي ..
- وهل لديك أسرة؟
- نعم لديَّ ابنة تعمل متفرغة في العمل الخيري ، إنها رئيسة نادي الليونز في المنطقة !
- الليونز..؟! هل تعرف ما هي المنظمة ، وما أهدافها ؟!
- كلا .. ، فابنتي تعرف ذلك ، وهى عموماً "تربية أمريكان" .. (ويضحك ضحكة مقتضبة) ، لقد تزوجت أمها الأمريكية، واتفقنا أن أتفرغ للعمل وتتفرغ هى لإدارة الأسرة.
- وهل لازلت تحتفظ بهويتك ؟ أعني لغتك ، ودينك.
- لغتي جيدة، وديني لا يَسُر ، منذ البداية.
- و لماذا ؟!
- كنت يسارياً في السابق ، قبل أن أهاجر إلى هذه البلاد، كنت أعيش في مخيم لاجئين في دمشق ، كان معسكر السلام وشعاراته الشيوعية يشكل تيار أغلب التعساء هناك.
- ثم ؟
- كفرت بكل الشعارات الكاذبة، والزعامات المغشوشة، وآمنت بالحياة علي الطريقة الأمريكية، الفردية، تستطيع أن تكون من تريد حينما تكون لا منتمياً، إنها عقلية الشركات الكبرى، حينما تدوس على المبادئ، سوى مبادئ الشركة وتتخلى عن أي تحالف ، سوى ما يساعدك على النجاح !
- وهل هذا مبدأ صالح في نظرك ؟
- ما يصلح هو ما يعمل ، وما يعمل - كما أرى - هو ما يصلح.
- قد يبدو هذا الكلام فلسفياً، لكن الواقع والفلسفة قد يشتبكان. لكن قل لي : هل أنت مثالي ؟
- إذا كنت تقصد بالمثالية الالتزام بمنهج ، فأنا كذلك.
- وما هو هذا المنهج ؟ . لقد أصبحت بعيداً عن الساحة العربية كما ترى.
- منهج قديم ، جديد..
- ماذا تعني..؟
- أعني الإسلام.

- لقد كنت أظن أنك ستقول لي ذلك ، منذ أن رأيت تلك اللحية الثائرة، إنها تشبه لحية كاسترو، أو الخميني .
- لعل كاسترو وغيفارا والخميني بل حتى ماركس ، هم ما تقدمه الثقافة الأمريكية للتدليل على الخطر الخارجي، والربط بينهم حتى لو لم يكن هناك رابط.
- أوافقك في ذلك ، لكن قل لي فلعل معلوماتي خاطئة : هل يعني ذلك أن "الأصولية" هي الموجة الآن؟
- وماذا تعني بالأصولية؟
- أعني الحَرْفية، الجامدة، والتعلق بالنص!
-أعطني مثالاً .. لم أفهم!
- مثلاً بِلِي غراهام ، سويغارت.
- غيرهما.
- لا أتذكر.
- أنت رجل متعلم ، هل تؤمن أن نطبق سياسات أمريكا وأوربا الغربية وآلياتهما على العالم الثالث ؟ .
- لا يمكن ، أرضيتان مختلفتان ، متباينتان...
- إذن هل تعرف أن هناك اختلافاً بين ما تطلقه من أمثلة وبين الواقع الذي تنعته بالأصولية.
- ربما، لكن الإسلام والمسيحية متقاربان ، عذراً، هذا من بقايا الخمسينات ، كلاهما أفيون الشعوب ، أو في منطق أمريكا الثمانينات ، الإسلام السياسي أو الإرهابي يحمل نفس بذور الأصولية التى تريد أن تحكم أمريكا.
- مرة أخرى .. أجد نفسي مضطراً لتذكيرك باختلاف البدايات وحتمية الخطأ النهائي.
- أعترف بأني قد تغيرت كثيراً .. وأعترف أن الحوار ممتع معك ، تحمل نفس اللهجة القاطعة والمستيقنة التى كان أبوك يحملها، ولكن تبدو أكثر عقلانية حينما كان يبدو أكثر حماساً وعاطفية، هل نلتقي مرة أخرى ؟ .
أحس جمال أن الدكتور برهان مشغول وأن المقابلة قد انتهت ، فوعده خيراً ، وأحس بواجب نحو هذا الغريب ، الذي "استنوق" حتى يصل إلى ما يريد، والذي قابل العديد من أمثاله الذين تأمركوا، وضاعوا وأضاعوا، أضاعوا جيلاً ثانياً كان يمكن أن يكون أداة خير فاعلة في هذه الأرض ، وتذكَّر مجموعة من المراهقين من أبناء المسلمين الذين ولدوا لآباء كهؤلاء، بعضهم يحترف الدعارة، وبعضهم يحترف تجارة المخدرات ، ومجموعة تقود نوادي الليونز، والروتاري ، وأخرى - ويا لَحجم المأساة !! - يعملون منصرين في كنائس مثل "وليم علي" ، ذلك المنصر الشاب الذي قابله منذ فترة وتلك مأساة أخرى...

أذان بلال

شعر : مروان كجك

إني ليُثنيني المقال عن المقال فهنا رجال يستبد بهم رجالْ
وهناك طاغية بلا قلب ، ولا عقل ، ألدُّ، يفوق ما نسج الخيالْ
وعلى رُبا أرض المحبة تُهتك الـ أستار يُعبث بالطهارة والجمالْ
يقتادها جلادها بالقهر طو راً والأماني كاذبات ، والوصالْ
فإذا تأبَّت أو عدت يوماً، ولم تحفظ له وداً، ولجت في السؤالْ
وإذا تململ طرفها من رقدة الـ ذل الوبئ ، ولم يطق عيش الذِّلالْ
وإذا تعالى صوتها عن همسة وتطلب الإنصاف ، أو جمح الخيالْ
ألفيتَ كل نقيصة في الأرض تُلقى فوق هامات تقيات جِلالْ
هذا الذي صلب المسيح بزعمهم ورمى البتول بكل هاتيك الخصالْ
هذا الذي قتل الحسين جهارةً عمداً، ولم يحفظ لعصمته الجلالْ
هذا الذي باع البلاد وأهلها ورمى بَنِيها بالتفاهة والضلالْ
هذا الذي لولاه ما كانت أزقة تكم مباءات لأوكار الخبالْ
هذا الذي قد سلم القدس الحبيبة في صباح حين قعقعت النعالْ
فمضى بعيداً، طوَّف الدنيا انكسا راً واختفى خلف الروابي والتلالْ
وأطل في ليل بهيم زائغ لتظن أنك في المعارك ما تزالْ
هذا الذي إن حل فيكم حاكماً سيكون إعصاراً ويُسرف في النكالْ
فامضوا لوأد العابثين بلهوكم: إبليس يحدو جمعكم ، وأبو رغالْ
لا ترهبوا أحداً وكونوا سادةً وتقدموا لنزالهم آلاً فآلْ
فبَنُو النباهة قد نثرنا عقدهم وغدوا شراذمَ دأبها قيلٌ وقالْ
ماذا أقول وحولي الآمال صَرْعى والبشائر في انكماش وانسلالْ
والقدس ترسُفُ في القيود وحولها أشلاءُ أهلي غُيِّبت تحت الرمالْ
والعابثون بمجدنا في كل أر ض يَرهبون أذان فجرك يا بلالْ
يخشون أن ترقى حصون جحيمهم فيدُكّ صوتُك ما أقاموا من جبالْ
ماذا أقول وكل دار حولها سور، وحول السور كوكبة اغتيالْ
مستوطنون هنا سكارى لا يروْن سوى التمادي في التعدي والضلالْ
وهناك شرذمة يبوء بإثمها صِفْرُ الرجولةِ والدعيُّ بلا نِزالْ
أشفى علينا واستطاب نسيمنا فَرَغا وأزبدَ كي نعافَ له الزلالْ
ومضى يسوم صغارنا وكبارنا خسفاً وجوراً والبقية لا تقالْ
مَن لي بثائرة تثور كأنها شُهُبٌ إذا انقضت ، براكين اشتعالْ
تفري الجناة تغوص في أرحامهم تجتث ما زرعوا بأرض من وبالْ
لا ترتضي إلا اقتطاف رؤوسهم ما بين ناصية كَذوبٍ أو قذالْ
بالحق أرْهِبْ مَن توارى خلفهم ودعِ السيوف على المدى رهنَ استلالْ

لا تـأمـنَـنْ يـومـاً لـباذل قـولـــــه حـتـى تـرى لـمـقـالـه صـدق الفِعالْ
واحذر أذى قــــوم تـظــل رؤوسـهـم في الطين غائصة ترقَّبْ في انـشـغـالْ
لا يعرفون سوى الخديعة مــذهـبــــاً كـالـصـل سماً، حاذقون ذوو احتيالْ
أنـسـالُ حقد كـالأفــاعــي كـلـمـــا عاهدِتهــــم قطعوا الوشائجِ والحبالْ
فيهم وحوش كالخِــــراف وداعـــــةً خبثاً وميناً، مـثــل حاريةٍ هِزالْ (1)
ماذا أقول وكــل أمــــر دونـــــــه أمر أجلّ ، وخـطــــــة فوق الخيالْ
وأنا هــنــــا وحدي تُطيف بي الرؤى والقلب يخفق ، والـيـدان بلا مجالْ
والسابـحــــــون على شواطئ أُنْسهم أنْسَتْهُمُ الأيــامُ دجـلــةَ والـقــنـــالْ
والزاعـــمــــون النصرَ في غدواتـهـــم نـســوا الجنوبَ غداة ضمهم الشمالْ
ولـذاك أنثر فـي الــدروب كـنــانـتـي هـيـمـان، يثـنـيـني المـقال عن المقالْ!

الهوامش:

1- الحارية : الأفعى التي كبرت ونقص جسمها ولم يبق إلا رأسها ونفَسها وسُمها .

شؤون العالم الإسلامي

المسلمون في شبه القارة الهندية

تعاون هندي إسرائيلي لقمع انتفاضة كشمير

أحمد موفق زيدان

"إن العملية مكلفة، والخسائر باهظة، ولكن لابد من دفع الضريبة والثمـن ، فـدفـع ضريبة العز والحرية لا تقارَن بدفع ضريبة الذل والمهانة" هذا ما قاله أحد الناجين من الجـحـيـم الـهـنـدي فـي سريناغـار عاصمة كشمير المحتلة، ويروي القادمون من هناك صوراً لمآسٍ لا وجود لها إلا في الدول الـمتوحشة، ولا تماثلها إلا جرائم النازية ومحاكم التفتيش . ويقوم بالإشراف على هذه المآسي والخطط مستشارون إسرائيليون إلى جانب المستشارين الهنود. وقد أكدت مصادر متعددة وجــود مـثــل هــؤلاء المستشارين خاصة وأن التعاون الأمني بين الطرفين على أشده في المجالات الأمنية، وتـقـتـفــي القوات الهندية أثر القوة اليهودية في تعاملها مع الانتفاضة الفلسطينية من إبعاد وطرد وتعذيب وإهانة وغيرها.

صور من المأساة :

تشير التقارير الصحفية إلى أن حصيلة الانتفاضة الكشميرية - والتي بدأت مع ربيع عام 1989 حتى الآن - وصلت إلى آلاف الشهداء، و23 ألف سجين و20 ألف جريح وتقوم القوات الهندية بمداهمة البيوت والمنازل بحثاً عن المجاهدين والأسلحة، ولكن أول ما يسألون عنه أو يبحثون عنه نسخ من

القرآن الكريم فإن وجدوه يطرحونه أرضاً ويأمرون أهل البيت أن يدوسوه ويهينوه ، ومن يرفض أوامرهم يواجَه برشقة من بندقية أو مسدس فيخر صريعاً شهيداً، وقد حصلت حوادث لا حصر لها من هذا النوع.
كما تقوم القوات المداهمة بربط وتكتيف أهل المنزل الرجال في جهة، ، والنساء والفتيات في جهة أخرى، ثم يفتشون المنزل ، وبعد فراغهم يقومون بالاعتداء على أعراض الفتيات أمام سمع وبصر ذويهم ، والجيران يسمعون صيحات الاستغاثة والصراخ والعويل ، وتوالي قوات الكوماندوز الهندية مهاجمة الشباب ،والأشبال في الشوارع حيث يهجم اثنان من هذه القوات على شاب يسير في الشارع لا ذنب له ويمسكه كل واحد من الكوماندوز من يده ثم يقومان بكسر ذراعيه ويمضيان دون أن يعارضها أحد، وفي المظاهرة النسائية التي أقيمت مؤخراً في داخل سريناغار قامت قوات الكوماندوز الهندية بخطف والاعتداء على 3500 فتاة مسلمة دون أن يعرف مصيرهن حتى الآن.
كما تقوم الهند بإرسال أشخاص هندوس إلى سريناغار ويدَّعون أنهم مسلمون وقد اكتُشف أحدهم في أحد مساجد العاصمة عندما لاحظ عليه أحد المصلين تحركات غريبة فنظر إلى ذراعه المكشوف فوجده مكتوباً عليه جُملاً هندوسية.
وفي 21 من مايو عام 1990 - وبينما كان جمع من المشيعين يقومون بمراسيم دفن (ميرويس محمد فاروق) الذي قتلته القوات الهندية ويفاجَأ الـمـشـيـعـون بهـجـوم ناري من القوات الهندية فقتلت أو جرحت حوالي 250 شاباً إلا أن المصادر الهندية قللت من الرقم وقدرته بين 17-27 قتيلاً أو جريحاً وادعت بأن الهجوم كان دفاعاً عن النـفـس في الوقت الذي كان المشيعون عزلاً تماماً من السلاح . وتقول المصادر بأن القتلى الكشميرييـن فـي الفـتــرة الواقعة بين 6-20 من أبريل الماضي - بقوا بدون دفن ، كما أهمل المرضى ولم يعالجوا في الـمـستشفيات أبداً، وبقي كثير من سكان العاصمة بدون طعام أو غذاء حيث استمر حظر التـجــول مفروضاً خمسة عشر يوماً ولم يتوقف لدقيقة واحدة، وأي شخص ينتهك هذا القانون يـواجَـــه بعدة زخات نارية ؛ الأمر الذي نجم عنه مجاعة في العاصمة وتجدر الإشارة إلى أن عدد سكان (سريناغار) يقدر بـ 800 ألف نسمة منهم 99% مسلمون وهناك خطة هندية يتوقع تنفيذها تقضي بالسماح للقوات الهندية بإطلاق النار على كل شخص يتراوح عـمـــره بين 16-30 سنة، ويبلغ عدد سكان كشمير 12 مليون نسمة منهم 85% مسلمين.

فرار عملاء الهند الكشميريين :

أكدت الأنباء هروب حوالي 500 قائد كشميري الأصل عملاء للقوات الهندية من كشمير وتوجهوا إلى دلهي واستقروا هناك ، وقاموا بشراء بيوت فخمة في الهند واستقروا هناك ، ويعتقد هؤلاء القادة بأنه لا مستقبل لهم بعد بدء هذه

الانتفاضة الشعبية العارمة التى تنقم على كل ما هــو هندي أو عميل للهند، ومن هؤلاء الفارين عبد الله صهر فاروق عبد الله حاكم كشمير المحتلة سابقاً بإيعاز من الهند، وكان فاروق عبد الله قرر العيش في لندن مع زوجته الإنجليزية الأصل ، ويقول بأنه مختفٍ في لندن ولا يستطيع الظهور بشكل علني خوفاً من المجاهدين الكشميريين ؛ لأنهم ناقمون عليه لعمالته الشديدة للهند أيام حكمه.

الهند تحظر دخول الهيئات الدولية :

رفضت الهند دخـــول الهيئات الدولية ولجان حقوق الإنسان إلى كشمير وعلى الرغم من تقدم لجنة العفو الدولية، وجمعية الصليب الأحمر الدولى ولجان حقوق الإنسان بطلبات لدخول كشمير المحتلة ومشاهدة الأوضاع التى يحياها السكان هناك فقد رفضت السلطات الهندية الاستجابة لأي طلب من هذا، وقد هاجمت إحدى لجان حقوق الإنسان الهندية الأصل الممارسات الهـنـديـــة في كشمير، ولم تستطع أن تلتزم الصمت وهى ترى المجازر وانتهاكات حقوق الإنسان في سريناغار.

وتلقى كشمير تعتيماً إعلامـيـاً لـم يـشـهــد له مثيل إلا في الدول المماثلة للهند في تعاملها ووحشيتها، حيث فرضت السلطات الهندية منعاً شديداً لدخول الصحفيين إلا للبعض وهم أقل من القليل كما مارست سياسة منع دخـــول الصحف غير الهندية إلى كشمير وذلك في إطار سياسة التعتيم الإعلامى حتى قام مراســـل صـحـيـفـة "صنداي تايمز" بشرح بعض ممارسات السلطات الهندية في الضغط على الصحفيين والمراسلين.

كشمير وحق تقرير المصير :

لا أود الذهاب بعيداً في هذا المقام عن تاريخ كشمير والعصور التاريخية التي مرت بها إلا أنى أود أن أسلط الأضواء على مدى التزام الهند بقراراتـهـــا وبياناتها فضلاً عن قرارات الأمم المتحدة حيال حق تقرير مصير الكشميريين بأنفسهم .

ففي 13 من أغسطس عام 1948 قررت الأمم المتحدة - بحـضـــور الهند وباكستان - أن الاستفتاء هو الذي سيحدد مستقبل الشعب الكشميري كما نجــح السير ظفر الله في 5 من يناير عام 1949 في استصدار قرار آخر من الأمم المتحدة يفيد بأن تقوم لجنة استفتاء تخير الكشميريين بين الالتحاق بالهند أو بالباكستان أو أن تكون مستقلة، وينقل عن نهرو بأنه يفضل إلحاقها في باكستان ؛ لأنها إذا استقلت فستطالب الـمـنـاطـق الهـنـديــة الأخرى بالانفصال وحينها لن يقدر أحد على إيقاف تداعي حجر الدومينيو .

وتقول بعض الروايات التاريخية بأنه قد طلب من باكستان إلحاق كشمير بها مقابل إلحاق حيدر آباد بالهند فرفضت الباكستان وحينها خسرت الباكستان الاثنتين بدلاً من خسران واحدة .

وفي الاجتماع السابع والعشرين للأمم المتحدة جاء فيه بخصوص كشمير :

"مهما يكن من أمر في مسألة كشمير فإن الخيار هو للشعب نفسه في أن يلحق نفسه بباكستان أو الهند أو يكون مستقلاً وذلك عندما تعود الحياة إلى مجراها الطبيعي" .

وفي عام 1951 قال نهرو : "إن كشمير لها الحق أخيراً في تحديد مستقبلها .

وفي 6 من سبتمبر عام 1965 - عندما وقعت الحرب الهندية الباكستانية بخصوص كشمير وجبنت قيادة القوات الباكستانية بصراحة في استمرارها بتحرير كشمير ورضخت لما يسمى بالقوانين الدولية التي لا تطبق إلا لغير مصلحة المسلمين ، وإلا فأين القرارات الدولية التي أصدرتها الأمم المتحدة حيال تقرير الشعب الكشميري لمصيره بنفسه. بعد هذه الحرب حصل اتفاق طشقند في روسيا وذلك في عام 1966 ووافقت باكستان على الانسحاب من الأراضي التي حررتها إبان الحرب .

وعندما وقعت حرب عام 1971 بين باكستان والهند وهُزمت باكستان وانشقت على إثرها بنغلاديش تم توقيع اتفاقية (سيملا) ورضخت باكستان لبعض الصعبة بسبب هزيمتها في الحرب واحتفاظ الهند بأكثر من سبعين ألف أسير باكستاني لديها واعترفت حينها باكستان بخط ما سُمي (بخط الهدنة) وهو أكبر مأخذ تأخذه الهند على باكستان أثناء محادثاتها معها.

المحادثات الهندية الباكستانية وأثرها على كشمير:

تجري محادثات مكثفة بين السلطات الباكستانية والهندية من أجل نزع فتيل التوتر بين الدولتين ، ويقوم وسطاء دوليون بهذه المهمة، ولكن يتوقع أن يكون لأي اتفاق لا يأخذ بعين الاعتبار مصلحة شعب كشمير وقْعٌ خطير في كشمير المحتلة خاصة إذا تخلت باكستان عن التزامها بتأييد الكشميريين وهو أمر صعب لأن الجيش الباكستاني من الصعب أن يوافق على هذا أو يخشى البعض من قيام حكومة باكستانية بالمساومة بينها وبين الهند في قضية اضطرابات السند بحيث تتخلى الهند عن تدخلها هنا وتتخلى باكستان بالمقابل عن تدخلها في كشمير، وهذا ما دعا الجيش الباكستاني أن يطالب وبشدة بتسلم الملف الأمني في المناطق المضطربة حسب ما يقتضيه الوضع الأمني في كراتشي وحيدر آباد وذلك بناءً على المادة رقم 245 من دستور البلاد، وقد طالب عدد من السياسيين بتسليم الملف الأمني للجيش خاصة بعد وقوع ضحايا كُثر في الإقليم ، ولكن حكومة حزب الشعب التي كانت تتحكم في الإقليم تخشى من انقلاب الشعب عليها في أنها فشلت في حفظ الأمن. وقد يبدو من الممكن الآن بعد إزاحة بي نظير بوتو أن يتسلم الجيش مهمة الأمن في السند .

محنة جديدة

فوجئ العالم بغزو العراق للكويت في الوقت الذي تسقط فيه الأنظمة الدكتاتورية في الغرب، ويحصل تغيير في النظرية الاشتراكية في الاتجاه نحو الديموقراطية ورفض تغيير المجتمع من خلال الثورات والانقلابات ، وكأن صدام يريد أن يقول إن التغير القومي الاشتراكي لا يتم إلا من خلال الثورة والاحتلال ، وقد شُرد من جراء هذا الغزو مئات الألوف من المسلمين الذين يعملون في الكويت وتضررت كثير من الجمعيات الخيرية الإسلامية وحصل أثناء الغزو ولا يزال فوضى وفقدان للأمن وانتهاك للأعراض ، وتسارعت الأحداث بشكل مؤسف ، مما أدى إلى تفرق الصف الإسلامي نفسه ، ومما زاد الطين بلة تدخل القوى الأجنبية في المنطقة بدعوى حماية الأمن والسلام العالمي والقانون الدولي وعجز العرب والمسلمين عن حل قضيتهم بأنفسهم واختلفوا حول هذا الأمر كعادتهم، وسنحاول تحليل هذا الحدث وآثاره على المنطقة ولو بصورة مجملة وسيكون التحليل كالتالي :

- حسابات خاطئة.
- دخول القوات الأجنبية فرصة ذهبية لها .
- مجلس الأمن.
- احتمالات وتوقعات.
- تغييرات متوقعة في المنطقة.
- مواقف بعض الإسلاميين .
- مقابلة مع صدام.
- عِبَر من الأحداث.

حسابات خاطئة :

لقد أخطأ صدام في توقيته غزو الكويت في هذا الوقت فلم يقدر حقيقة الوفاق الدولي الآن وإنهاء ما يسمى بالحرب الباردة وسقوط الشيوعية بشكل عام وانهيار أنظمة أوربا الشرقية بشكل خاص فلو كان الغزو - مثلاً -قبل سنة لكان من الصعب نجاح الحصار الاقتصادي بوجود أنظمة أوربا الشرقية البوليسية التي كانت تتمتع بعلاقات جيدة مع العراق، ولربما لو كان الغزو قبل اجتماع مالطا لتحفظ السوفييت، وعند ذلك يكون موقف الأمريكان حرجاً، فأي قرار من الأمم المتحدة لا توافق عليه الدول الخمس وخاصة أمريكا وروسيا لا قيمة له في أرض الواقع كما هو معلوم (كالقرارات المتعلقة بالقضية الفلسطينية التي استخدم الأمريكان ضدها حق النقض).

وأخطأ مرة أخرى حينما لم تنجح توقعاته في موافقة المعارضة الكويتية (من اليساريين والقوميين) على اجتياح الكويت فلو وافقت المعارضة مثلاً لاعتبر ذلك كاستدعاء بعض اللبنانيين للجيش السوري ليتدخل.

ولذلك بقيت القضية في إطار القانون الدولي : "انتهاك لسيادة دولة وقلب نظامها بالقوة"؛ مما جعل السوفييت وهم أصدقاء للعراق لا يجدون مسوغاً أمام الغرب يجعلهم يرضون بهذا الانتهاك ، فهم بحاجة إلى إثبات مصداقيتهم أمام الغرب بأنهم يحمون السلام والأمن العالمي، خاصة وأن السوفييت في هذه المرحلة بحاجة إلى هذه المصداقية ليحصلوا على مزيد من الدعم الغربي.

دخول القوات الأجنبية فرصة ذهبية لها :

الغرب وأمريكا بالذات يتوقان لفرصة كتلك التى أقدم عليها صدام لكي تضفي الشرعية على تدخلها السريع لإنهاء القوة العراقية التي باتت مصدر إزعاج لطفلها المدلل "إسرائيل" (ويلاحظ أن القلق من العراق كشعب مسلم قد يستثمر هذه القوة يوماً من الأيام وليس القلق من صدام وحزبه) ومصدر قلقهم أيضاً عدم ضمان مصالحهم في الخليج (يقول وينبرغر وزير الدفاع الأمريكى الأسبق إنه من غير المعقول أن تبقى قوة طليقة تتحكم بنصف احتياطي النفط العالمي ، إن ذلك يهدد مصالحنا وطريقها في الحياة) "الشرق الأوسط" 17/8 . لذا فمن غير المستبعد أن أمريكا قد رصدت الاجتياح العراقي للكويت منذ البداية عن طريق الأقمار الصناعية وغيرها، وربما كان لها دور في ضغط واحراج الكويتيين لصدام في قضية الديون ونحوها لاستفزازه لمثل هذا العمل ، ولعل الأيام القادمة تكشف شيئاً من ذلك.
ويلاحظ المرء تضخيم الإعلام الغربي للقوة العراقية من حيث العدة والإمكانيات بشكل هائل مما أخاف العالم من نشوء قوة جديدة عسكرية واقتصادية قد تغير موازين القوى وذلك ساعد في سرعة التفاعل الدولي في المشاركة بالقوات ، وكذلك إجماعات مجلس الأمن ، ولكن بعد قدوم القوات الأمريكية والقوات المتعددة الأخرى اختلفت النغمة بعض الشيء ؛ فالأسلحة الكيماوية هناك إمكانية من الوقاية منها وغير فعالة في الجو الحار، وصواريخ سكود غير دقيقة الهدف ويمكن رصد تحرك الطائرات والصواريخ العراقية وضربها قبل تحركها... الخ.

على العموم دخلت القوات الأجنبية وسيكون لدخولها آثار كثيرة لعل أبرزها:

1 - إخضاع دول المنطقة لمزيد من السيطرة مما يمكنها من تمرير مخططات كثيرة من أهمها رصد الصحوة الإسلامية عن كثب ومحاصرتها باعتبارها الخطر المستقبلي على "إسرائيل" والغرب ، يقول وزير الخارجية الأمريكية بيكر - مبتهجاً بالتعاون الدولي مع الولايات المتحدة - : "... إن الدول الأعضاء في حلف الأطلسي إذ تعمل جنباً إلى جنب مع دول أخرى لتبرهن على وحدتها في مواجهة الخطر المشترك وأعتقد أننا نبرهن على أننا قادرون على العمل معاً في عصر جديد للتصدي للتهديدات القادمة من مصادر جديدة وجهات جديدة" .

2 - مزيد من اعتماد المنطقة على العنصر الأجنبي في شئونها المختلفة يدعوها إلى الارتماء في أحضان الغرب واستمرار التدخلات الأجنبية بدعوى الحفاظ على أمن المنطقة.

مجلس الأمن :

لأول مرة في تاريخ الأمم المتحدة تُتخذ خمس قرارات في قضية واحدة خلال أقل من ثلاثة أسابيع وقرارات بالإجماع (وهذه القرارات حول إنهاء الغزو والمطالبة بالانسحاب وعودة الحكومة الشرعية وفرض العقوبات الاقتصادية واستخدام القوة لفرض ذلك) . وقد يقول قائل إن ذلك أمر طبيعي ؛ لأن المسألة فيها انتهاك صريح للقانون الدولي ولكن ذلك الجواب فيه سذاجة لأن "إسرائيل" - مثلاً - تنتهك القانون الدولي منذ أكثر من أربعين سنة ومع ذلك تستخدم أمريكا حق النقض ضد أي قرار فيه إدانة - مجرد إدانة - لإسرائيل ، فضلاً أن يكون القرار ذا أثر عملي ، بالطبع السبب معروف وهو أن وجود "إسرائيل" في المنطقة فيه تحقيق لمصالح غربية كثيرة بل هى امتداد للغرب وجزء منه أما قوة العراق فقد تهدد المصالح الغربية في المستقبل ونحن لا نقول ذلك دفاعاً عن صدام ونظامه البعثي، ولكن نخشى أن يكون المقصود من الضربة الشعب العراقي وقوته العسكرية والاقتصادية وليس صدام ونظامه فحسب.

احتمالات وتوقعات :

التوقعات كثيرة والمفاجآت واردة وسنقتصر على أبرزها :

1 - حينما يشعر صدام بضغط الحصار الاقتصادي وعدم إمكانية الحوار قبل انسحابه من الكويت فقد يفاجأ العالم بالانسحاب بعد تحقيق بعض مصالحه ، كما فاجأ العالم بقبول اتفاقية الجزائر سنة 1975م حول السيادة على شط العرب ، رغم أنها كانت السبب الرئيسي لحربه مع إيران ، ومما يؤيد هذه الاحتمالات مبادرات صدام حول الرهائن وإمكانية إطلاقهم إذا انسحبت القوات الأجنبية، وكذلك توجيه العراق لسفنه بالخضوع للتفتيش ، فإذا نفذت مبادراته ومحاولاته ولم يجد ليونة من الغرب فقد يلجأ إلى الانسحاب ، ولكن يا ترى إذا انسحب صدام هل يسلم من الضربة العسكرية؟

المتوقع حين الانسحاب عدم الضربة العسكرية ؛ لأن السوفييت والصين لن يرضوا بذلك باعتبار أن العراق قد التزم بالقانون الدولي وقرارات مجلس الأمن ، وعند ذلك يصعب على الولايات المتحدة اتخاذ قرار فردي مما يعني ضربة قاضية للوفاق الدولي.

ولكن هل يترك الغرب قوة العراق طليقة؟ .

في الواقع إن الغرب لن يترك قوة العراق ولكن سيستخدم وسائل أخرى عن طريق المخابرات لترتيب انقلابات أو غيره ، يقول وزير الخارجية الفرنسى جان فرانسوا بونسيه - والذي قام بدور مبعوث للرئيس الفرنسي إلى بعض

الدول حول الموقف في الخليج - : "بأن الجميع يتحدث عن شرطين أساسيين للحل هما انسحاب القوات العراقية، وإطلاق الرهائن . ولكن هناك شرط ثالث يفكر فيه الجميع من دون الحديث عنه ، وهو حتى حال قبول العراق لهذين الشرطين كيف يمكن إيقاف تهديد العراق للمنطقة في المستقبل بالقوة العسكرية التى يملكها ؟!" . "الشرق الأوسط" 31/8.
وقد يستمر في تصلبه فيزداد تذمر الشعب العراقي من شدة المعاناة والحصار وخوض معارك دون فائدة ، فيؤدي ذلك إلى انقلاب عسكري وانهيار النظام.
2 - قد تتوتر الأجواء من خلال قضية الرهائن أو غيرها وعندئذ تنشأ حرب مدمرة سيكون لها آثار في مستقبل المنطقة وعلاقاتها .
إذاً الحرب واردة، وأمريكا تكامل رصدها للمَواطن الحساسة في العراق ، والتأقلم مع الصحراء، ولكن الحرب إذا ما وقعت فستكون آثارها مدمرة، فالعراق يملك أسلحة فتاكة وسيستعملها إذا وجد نفسه محاصَراً من كل الجهات.

تغييرات متوقعة في المنطقة :

1 - سينظر الغرب إلى منظمة التحرير الفلسطينية نظرة أخرى ويسعى إلى إيجاد بديل عنها .
2 - قد تستغل أمريكا تفاعلها مع سورية فتوكل لها مهمات جديدة في القضية الفلسطينية من خلال دعم المنظمات الموالية لسورية بتحويل بعض أموال الخليج لها بشرط البدء بحوار مع "إسرائيل" للإعداد لكامب ديفيد آخر، وقد أبدت واشنطن ولندن ارتياحهما من إطلاق الرهينة الأيرلندي ودور إيران وسورية في ذلك.
2 - ربما يبرز الآن الخيار الأردني، وهو الفكرة التى يطرحها حزب الليكود أن الأردن هو بلد الفلسطينيين ، خاصة إذا هاجر عشرات الألوف من الفلسطينيين من الكويت والسعودية إلى الأردن وضعف الدعم الخارجي للأردن مما سيزيد الضغط السياسي والاقتصادي على الأردن وقد يسبب ذلك انهياراً للنظام والله أعلم.
3 - هناك دلائل الآن تشير إلى عودة العلاقات بين السعودية وإيران ، وقبل ذلك قد ينتهي التوتر بين إيران والغرب وأمريكا خاصة إذا استمرت إيران فيما يلي :
أ - التزامها بالحصار الدولي المفروض على العراق.
ب - ومساهمتها في إطلاق الرهائن الغربيين في لبنان. وهناك دلائل كثيرة تشير لذلك .

فمنها ما صرح به الرئيس الإيراني من أن إيران لا تمانع في أن تطرد قوات أجنبية العراق من الكويت مادامت سترحل بعد ذلك (رويتر 25/8) ومن أن اتفاق العراق مع إيران لا علاقة له بغزو العراق للكويت.
ومنها ما صرح به وزير الخارجية الكويتي لصحيفة الحياة (28/8) من أنه ناقش مع الإيرانيين العلاقات السعودية الإيرانية وسبل تحسينها ووجد بعض التفهم والرغبة.
على العموم لا زالت إيران تستثمر وتستفيد من الأحداث لمصلحتها ولتحسين صورتها في الخارج ، يقول وزير الدولة البريطاني للشؤون الخارجية وولد غريف إن على بريطانيا أن تعيد تقويم علاقتها مع سورية وإيران في ضوء التحالفات المتغيرة في الشرق الأوسط حيال أزمة الخليج (رويتر 26/8) .

مواقف بعض الإسلاميين :

أحزننا موقف بعض الإسلاميين من الأحداث (1) - رغم تحفظنا حول دقة ما يُنقل عنهم - وذلك عندما أيدوا صدام حسين ، بل صرح بعضهم بوجوب القتال معه ، وهذا - بلا شك - مأساة سببها البعد عن المنهج الصحيح والوزن بميزان واحد، ميزان الكتاب والسنة دون محاباة أو مجاملة لأي حاكم من الحكام ، وهل صحيح أن صدام غيَّر وبدل، مع أن موقفه من الدعاة والحركات الإسلامية واضح ، ولم يتغير شيء من مبادئ الحزب ومناهجه ، وفي آخر مشروع للدستور الذي نشرته مجلة "ألف باء" عدد 1140 في 10 من محرم عام 1411هـ - 1/8/1990م يقول في المادة الخامسة : "يحظر على غير حزب البعث العربي الاشتراكي العمل السياسي أو الحزبي في القوات المسلحة" .
وفي المادة نفسها : "يحظر تأسيس الأحزاب السياسية والجمعيات التى تقوم على أساس زجّ الدين في السياسة" .
كما جاء في المادة (15) من مبادئ الحزب : " الرابطة القومية هى الرابطة الوحيدة القائمة في الدول العربية التى تكفل الانسجام بين المواطنين... "
وفي المادة (6) : "حزب البعث العربي الاشتراكى انقلابي يؤمن بأن أهدافه الرئيسية في القومية العربية وبناء الاشتراكية لا يمكن أن تتم إلا عن طريق الانقلاب والنضال ، وأن الاعتماد على التطور البطىء والاكتفاء بالإصلاح الجزئي يهددان هذه الأهداف بالفشل والضياع" . وفي المادة (41) : "ترمي سياسة الحزب إلى خلق جيل عربي جديد يأخذ بالتفكير العلمي وطليق من قيود الخرافات والتقاليد الرجعية" (انظر : نضال حزب البعث لميشيل عفلق (1/170
يتضح لنا من هذا أن :
1 - الانقلابات مبدأ من مبادئ الحزب.
2 - الرابطة الإسلامية لا قيمة لها وأن الدعوة إليها دعوة طائفية مذهبية.

3 - رفض ما يسمونه قيود الخرافات والتقاليد الرجعية، ويعنون بذلك تعاليم الإسلام في شأن المرأة والحدود.
ثم هل يعتقد الدعاة أن صدام غزا الكويت بقصد إزالة حكم فاسد ليقيم بدلاً منه الحكم الإسلامى ومن ثم من حقكم أن تؤيدوا، أم ليحقق طموحات حزبية شخصية ؟ ، فمعرفة الهدف من الغزو والاحتلال تحدد الموقف الواجب وهل نربي شباب الدعوة ليقاتلوا تحت راية هذا الطاغوت أو ذاك؟

لقاء مع صدام حسين :

سنختار مقتطفات من لقاء أجرته مجلة "الوطن العربي" - التابعة للنظام البعثي - في عدد 668 الجمعة 1/12/1989 (قبل تسعة أشهر تقريباً) ليتضح لهؤلاء مدى كذبه وتناقضه.
(أجرى الحوار رئيس التحرير وليد أبو ظهر) .
- الوطن العربي :... وهناك إجراءات في بعض الدول العربية وفي المنطقة العربية تزداد نبرة الإقليمية، ولم يبقَ غير العراق وغير صدام القومي العربي، لذلك صرت تجد تيارات دينية، وقبل انتصار العراق كان الإنسان - كحركة وطنية قومية - يخشى أن يتصدى للتيارات الدينية .
- صدام حسين (مقاطعاً) : تقصد التيارات السياسية المغطاة بغطاء الدين ؟! .
- الوطن العربي : نعم ، سيادة الرئيس ، الحركة الوطنية والقومية لديها الآن شجاعة التصدي لهذه التيارات وربما تصل إلى المستوى المطلوب لكنها وصلت إلى أن يقفوا ويتصدوا وبدأت بذلك رغم بعض الحالات كالانتخابات في الأردن مثلاً، وأنا ذهبت إلى الأردن قبل الانتخابات وشاهدت الأجواء ولدى الإخوان المسلمين هناك مستشفيات ومستوصفات لتطبيب الناس مجاناً .
- الرئيس صدام : من أين يأتون بالأموال لتطبيب الناس؟ هناك دول غير قادرة على تطبيب مواطنيها ؛ لأن ثمن التطبيب مرتفع .
ملخص الكلام السابق يريد رئيس التحرير أن يقول : إن وقوف العراق أمام الزحف الإيراني هو انتصار للقومية العربية التى كادت تنتهي لولا ذلك الانتصار (كما يزعم)، مما أعطى القوميين شيئاً من النشوة والافتخار وجعلهم يتصدون للتيارات الدينية (يقصد بالطبع الإسلامية) ، المنافس الوحيد له.
ويلاحظ من كلام صدام عدم القناعة بعلاقة الدين بالسياسة، ولذلك قال : تقصد التيارات السياسية المغطاة بغطاء الدين (أي التي تستغل الدين)، وكذلك استغرابه من الخدمات الخيرية التى تقدَّم للناس ، وهذا الأمر غير مستغرب ، فأهل الخير المحسنين كثيرون والحمد لله، وربما يقصد الرئيس أن لهؤلاء علاقة بالقوى الخارجية الرجعية على حسب تعبير الرفاق التقدميين.
- الوطن العربي: بعد مؤتمر الطائف كيف تجدون الحل في لبنان؟

- صدام : نحن ننظر إلى الاحتلال نظرة لا نستطيع إزاءها مساومة كائن من يكون وهي أن كل احتلال لأرض عربية من العربي أو الأجنبي حالة كافرة، لأن احتلال الجيش العربي لأرض عربية يهشم الأمن القومي العربي والتضامن العربي ، وعندما يتهشم مفهوم الأمن العربي وإمكانياته عند ذلك تصبح كل بلداننا مفتوحة أمام احتمالات أن يحتلها الأجنبي.. إلى أن يقول : نرى أن الحل الجذري يكمن في انسحاب القوات المحتلة للبنان ! .
تعليق : بإمكان منقذ الأمة العربية أن يطبق هذا الكلام على نفسه.

عبر من الأحداث :

على الدعاة أن يستفيدوا من الأحداث ويستغلوها لمصلحتهم ، ويقطعوا الطريق على أعداء الإسلام ولا يمكنوهم من تمرير مخططاتهم الخبيثة ويجب علينا أن لا نيأس أو نتشاءم فلعل في هذه الأحداث خيراً لنا حين نأخذ منها العبر والدروس ومنها:
1 - التأمل في سنن الله في المجتمعات والدول ، فالحال التي وصلت إليها الكويت تؤْذِن بشيء مما حدث ، فلا نستهين بآثار الذنوب والمعاصي ؛ يقول الله - عز وجل - : ((وإذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا القَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً))[الإسراء:16]. ويقول الله - تعالى - : ((وضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَداً مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الجُوعِ والْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ))[النحل:112] . ويقول - تعالى - : ((أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتاً وهُمْ نَائِمُونَ (97) أَوَ أَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يَلْعَبُونَ (98) أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إلاَّ القَوْمُ الخَاسِرُونَ))[الأعراف:97-99].
ومن أعظم الذنوب تحكيم القوانين الوضعية ، وموالاة الكفار، والربا، والزنا، والظلم ، وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ... الخ .
2 - لابد من الاهتمام بالعقيدة والتوحيد وتربية الناس على ذلك ، فقد كشفت الأحداث ضعف التوكل على الله عند الكثيرين وشدة التعلق بالأسباب المادية، وتعظيم الكفار والخوف والرجاء من غير الله.
3 - ضرورة الوعي وفقه الواقع ؛ فقد ذكرنا قبل قليل تأييد بعض الدعاة لصدام ، وقبل ذلك أيد بعضهم الخميني وغيره فإلى متى هذا التخبط والتقلب على حسب أحوال الطقس السياسي ودون النظر إلى الواقع وتقييمه من خلال الأصول المرعية ؟!
4 - الحذر من تضليل وسائل الإعلام : فالجميع يعرف أن وسائل الإعلام العربية صنعت من صدام بطلاً وتغاضت عن جرائمه المختلفة. مما جعل الكثيرين يُعجبون به ، فلو كشف الإعلام جرائم حزب البعث وجرائم صدام في حلبجة وغيرها لما لقي التأييد الذي لقيه الآن .

5 - انكشاف بعض الأنظمة وسقوط شعارات القومية العربية، فقد أثبتت الأحداث كذب دعوى القوميين حرصهم على الوحدة والأمن العربي فأفعالهم تدل على نقيض ما يقولون فيجب أن يستفيد الدعاة من ذلك فيكشفوا للناس حقيقة هذه الأنظمة والشعارات ويبينوا للناس أن الخلاص لهم بالإسلام وبالقيادات المسلمة الواعية والصادقة.

وأخيراً نقول للـمـسـلـمين كفى تخبطاً وتعلقاً بغير الله ونقول للدعاة احرصوا على الوحدة واجتنبوا الفرقة وكونوا على مستوى الأحداث ؛ فالأمة تنتظر منكم الكثير.

نسأل الله عز وجل - أن يجنِّبنا الفتن ما ظهر منها وما بطن وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه ، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه ، وأن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يحـفـظ لــنــا ديننا الذي هو عصمة أمرنا ودنيانا التى فيها معاشنا وأن يرفع عن المسلمين محنتهم ويرزقهم الصبر والاحتساب ، ويرزقنا وإياهم التوبة النصوح .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

الهوامش :

1- يُستثنى من ذلك الذين طالبوا بانسحاب العراق من الكويت كما رفضوا في الوقت نفسه التدخل الأجنبي .

الإسلام والمسلمون في السنغال

من الإخوة الذين اشتركـــوا فـي دورة العلــوم الشرعية التي نظمها المنتدى الإسلامي الأخ محمد بامبان جاي ، وقد انتهزنا فرصة وجوده وأجرينا معه هذه المقابلة التي تلقي الضوء على بلد من البلاد الإسلامية في إفريقية، وهو "السنغال" .

س - أخ محمد هل لك أن تعطينا فكرة عن السنغال من حيث سكانها، موقعها، مواردها الاقتصادية ؟

ج - أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، وبعد : السنغال دولة من دول إفريقية الغربية، يحـدهـا شمـالاً جمهــورية مـوريتانـيـا الإسلامية، وجنـوبـاً جمهورية غينيا بيساو، وشرقاً جمهورية مالي وغينيا، وغرباً المحيط الأطـلـسـي، ومساحة البلاد 192 ألف كيلو متر مربع ، ونالت استقلالها عام 1960م وكانت مستعمرة فرنسية، أما نسبة المسلمين حسب الإحصائيات التي أقيمت عام 1980م فقد بلغت حالياً 94% ويمثل المسيحيون 4% والوثنيون - الذين هم أناس يسكنون في إقليمي تامباكوندا في شرقي السنغال وكازموسن في الجنوب - ويمثلون 2% وهم أناس مازالوا على فطرتهم !

أما الثروات فالسنغال بلد زراعي يعتمد حوالي 80% من السكان على الزراعة وتربية المواشي وأدى هذا إلى بعض المشاكل ؛ لأن البلاد تتعرض للجفاف منذ ما يزيد عن عشرة أعوام ، وهناك ثروات معدنية بسيطة مثل الفوسفات ، وتم اكتشاف البترول ولم يستغل بعد وهو نفط بحري في حدودها مع غينيا بيساو، ومازالت هذه المنطقة النفطية موقع نزاع بين السنغال وغينيا بيساو حالياً، وهنائى الحديد في شرق السنغال وقد اكتشف حديثاً ولم يستغل بعد، وكذا الذهب في نفس الأقاليم في الشرق، والسنغال من الدول التي تنتج السمك بكثرة، لأنها تقع على المحيط الأطلسي، وفيها ما يزيد على ثلاثة أنهر : نهر السنغال، ونهر كامبيا، ونهر كازلماس ، أما المحاصيل الزراعية الرئيسية فالفول السوداني ثم الذرة والحبوب .

س - متى دخل الإسلام إلى السنغال أو متى دخل أهلها في الإسلام وعلى يد مَن ؟

ج - القول المعتمد الذي عليه براهين وأدلة تاريخية هو أن الإسلام دخل السنغال على يد المرابطين مع حركة عبد اللهِ بن ياسين وذلك في القرن التاسع الهجري وربما هذا له دلالات كثيرة جداً ، وهناك شيوخ تعلموا على أيديهم واعتنقوا الدين الإسلامى، وهم أيضاً بدأوا حركة في (فُتا) ثم بعد عبد الله بن ياسين وحركته بدأ بعض السنغاليين يروجون للدين الإسلامي في باقي أرجاء الوطن منهم الحاج عمر الفوتي والحاج مالكسي الذين كانوا ينشرون الدين في ربوع البلاد..

ولما دخل الاستعمار الفرنسي السنغال كانت السنغال دولة مسلمة، والأكثر من ذلك هناك أدلة تاريخية تقول : كان هناك دولة إسلامية في فُتا في القرن السابع عشر عند مجئ الفرنسيين (وهذا غير بعيد عن الصواب) ، الفرنسيون لما جاءوا حاربوا بعض الملوك الوثنيين في منطقة جلق في قلب البلاد وفي كايور وكانت شبه دويلات صغيرة أما باقي البلاد فكانت تحت أيدي شيوخ مسلمين يحكمون مناطقهم بالشريعة الإسلامية، ومن هذه المناطق (فتا) وكان فيها الشيخ سليمان بعل وإلى الآن توجد مخطوطاته وكان يحكم البلاد في كل الجوانب الإدارية ولما قتله الفرنسيون عينوا الشيخ (عبد القادر كان) وكان آخر شيخ ، وكانوا يطلقون اسم الإمام على الشيخ الذي كان يدير البلاد مثل الإمام سليمان بعل والإمام عبد القادر كان . والشيوخ تعلموا في السنغال وهناك مراكز علمية تعتبر بمثابة جامعات، والدليل على رسوخ الدين الإسلامي في البلاد أن أكثرها كانت تدرّس اللغة العربية، وإذا اطلعنا على اللغات القومية الموجودة في السنغال نجد الكثير من المفردات المستعملة مشتقة من اللغة العربية، ومن هذه اللغات اللغة الوُلوفية نأخذ مثالاً أيام الأسبوع ، اسمها كلها عربية ماعدا يوم الأحد ويسمى بيير، أما باقي الأيام : السبت : السبت ،الاثنين : تنين ، الثلاثاء: ثلاثة، الأربعاء: أربع ، الخميس : الخمس

،الجمعة: الجُمع ، وكان الفرنسي أثناء الاحتلال مجبراً على استعمال اللغة العربية في الدواوين ، وكانت السنغال مدخلاً للصحراء إلى مالي وكانت مركزاً ويسمونها غرب إفريقية الفرنسية، وكانت تسمى كذلك السودان الغربي الفرنسي .

س - أثناء وجود الاستعمار الطويل هل ظهرت حركات مضادة للاستعمار؟ أو حركات إسلامية يقودها علماء ؟

ج - الحركات بدأت قبل دخول الاستعمار، إن دولة الإمامية في فُتا كان على رأسها شيوخ وعلماء قاوموا الفرنسيين أشد المقاومة في أواخر القرن التاسع عشر، فالحاج عمر الفوتي قاوم الفرنسيين مدة 8 سنوات ثم توفي مقتولاً على أيديهم ، وحركة الشيخ (أحمد بادئ خُبا) وهو عالم مسلم يقود أشد حركة لمقاومة الفرنسيين (10 سنوات) ، والفرنسيون اعترفوا بذلك وبعد ذلك قضوا عليه بعد محالفات عقدوها مع الملوك الوثنيين في عام 1886) وكذلك ما يسمى (تمرد العلماء) عام 1905 م حيث قام كثير من العلماء وعلى رأسهم (عثمان جُمكة) بحركة تمرد ضد الفرنسيين حيث جهزوا أنفسهم لعدة أشهر دون أن يعلم الفرنسيون ذلك وشنوا ثورة عنيفة ضد الفرنسيين دامت 5 أشهر فقط ، وكانوا يقولون صراحة إنهم يحاربون الكفرة لإخراجهم من بلاد المسلمين ، وكان قمع هذه الحركة شديداً جداً ؛ حيث إن الشيخ عثمان جمكة قُتل ليكون عبرة للذين يأتون من بعده.

ومن الذين قاموا بالمقاومة ضد الفرنسيين الشيخ محمد بَمبا الذي نُفي إلى غابون . وكذلك شيوخ آخرون استمروا في المقاومة حتى عام 1920 وقد اضطر المستعمر الفرنسي لإقامة مدرسة للقضاة والمترجمين ، تهدف إلى تربية أولاد هؤلاء الشيوخ ، وفي ذلك يقول الحاكم الفرنسي للسنغال آنذاك مبيناً الهدف من هذه المدرسة :

"لابد أن نوجد لهم مدرسة نكوِّن فيها أبناءهم ونفسر لهم فيها القرآن تفسيراً لا يتنافى مع الحكم الفرنسي ، ونعلمهم فيها الفقه تعليماً لا يكون منافياً مع ما تريده الإدارة الفرنسية". وقد لعبت هذه المدرسة دوراً مهماً في هذا المجال وبعد ذلك أخذوا أولاد الشيوخ والعلماء الذين حاربوا آباءهم إلى باريس لتلقِّي العلم الغربى، وبعد عودتهم هادنوا المستعمر وبدأت المقاومة تهدأ شيئاً فشيئاً .

س - مـا هـي الـحـركـات الـسـيـاسـيـة الموجودة في السنغال. ويلاحظ المرء كثرة المنظمات الشيوعية، وليس بينها أحزاب أو جمـاعـات تـقـابـلـها من المسلمين هل هذا صحيح أم أن هناك جماعات تتصدى لهؤلاء؟

ج - حالياً يوجد 17 حزباً سياسياً وأكثرها شيوعي، ماعدا الحزب الاشتراكي الحاكم ، وهو ليس حزباً شيوعياً، وحزب المحافظين وحزب العمال ،

والدستور السنغالي ينص في بنده الثالث على أنه من الممنوع منعاً باتاً تكوين أي حزب على أساس ديني ..
وهناك جماعات تتصدى لهؤلاء الأحزاب مثل حركة الفلاح للثقافة الإسلامية السلفية وهي حركة كبيرة جداً، وجماعة عباد الرحمن وهاتان الحركتان لعبتا دوراً كبيراً في التصدي لمواجهة الشيوعيين والعلمانيين وكان البعض يتساءل : هل السنغال يحتاج حقيقة إلى حزب إسلامي نظراً لأن الجماعتين لهما حرية التصدي والتحرك. وهناك مجلة تصدر باللغة الفرنسية وتُقرأ بها مقالات سياسية بحتة، وهناك في كل أسبوع على الأقل محاضرة كبيرة علنية بالفرنسية أو باللغات المحلية أو باللغة العربية.
وبالجملة فإن هذه الحركات الإسلامية غير المرخص بها تقوم بنشاط ملموس وتتصدى لكثير من المشاكل التى يثيرها العلمانيون اللادينيون ، وتهاجم برامج العلمانيين المتعارضة مع الإسلام مما يضطر الدولة بين وقت وآخر أن تصدر بيانات تحذيرية لهذه الحركات والجماعات كي لا تتدخل في السياسة ولا تهاجم العلمانية المنصوص على وجوب احترامها في البند الأول للدستور . ومع هذا فإن الضغط لإزالة العلمانية من الدستور يزداد يوماً بعد يوم ، وبعد أن كانت مبدأً متفقاً عليه في السابق أصبحت الآن تهاجَم من جهات كثيرة من الشعب وزال ما كان لها من هالة وتهويل.
س - ألم تؤثر أحداث أوربا الشرقية على الشيوعيين والتيار اليساري؟
ج - أثرت وأصبح الشيوعيون يعيشون أزمة، وحدث في الأيام الأخيرة أن أستاذاً للفلسفة ينتمي إلى حزب الرابطة الديمقراطية - وهو أكبر حزب شيوعي في السنغال - وله نشاط وسيطرة في المجال التعليمي والتربوي هذا الأستاذ تكلم في درس له بكلام غير لائق بحق الله - تعالى - وبحق الرسول - صلى الله عليه وسلم- فتصدى له أحد الطلبة وثار بينهما نقاش أدى إلى الضرب ، ثم رُفعت القضية إلى مجلس الجامعة فطرد الطالب فحدث على إثر ذلك ضجة كبيرة جداً تضامناً مع هذا الطالب ، وعقدت محاضرات وأرسلت احتجاجات إلى رئيس الدولة وإلى البرلمان ، وكانت نتيجة لذلك أن أعيد الطالب إلى الدراسة ونُقل الأستاذ، وألفت لجنة لإعادة النظر في مناهج الفلسفة التى كانت منبراً للمهاجمين للإسلام في المدارس.
س - لا شك أن هناك مشاكل وصراعات ما بين المسلمين أنفسهم ، وخصوصاً نحن نعلم أن الصوفية لها جذورها في إفريقية، وأن الصوفية من خلال تاريخها دائماً ترتبط بالحكومات التي تعاصرها، فهل هناك مثلاً ضغوط من الصوفية على الناس الذين يحبون أن تكون الدولة ذات توجه إسلامي؟
ج - نعم هناك ضغوط كبيرة خاصة في السنوات الماضية، السنغال يتميز بكثرة الطرق الصوفية، وهي كثيرة وربما لا يعرفها العالم الإسلامى لأنها

سنغالية المنشأ، وعادة رؤساء الطرق يشجَّعون من قبل الدولة ويدعمون بالمال الذي يوزعونه على مريديهم ، ويحـضــر المسؤولون الاحتفالات التى يقومون بها، فيعبر مشايخ الطرق عن ولائهم للدولة وموافقتهم على مواقفها السياسية، وتحاول الدولة تشجيع هؤلاء ودعمهم لأنهم بديل مأمون ولا خطر منهم ، بعكس دعاة الإسلام الذين عندهم تجرد وإخلاص وعلم شرعي صحيح فإن الدولة تضغط عليهم وتحاول عزلهم بكل الوسائل.
ومع هذا فإن زعماء الطرق الصوفية قد تضاءل أثرهم عن السابق ، وذلك لأن نسبة الوعي قد ازدادت نسبياً بين الأتباع (وإن هى لم تصبح كاملة ومثالية) حتى أن من زعمائهم من يشارك في التجمعات الإسلامية غير الصوفية ويحرص على الظهور فيها حتى لا يجرفه تيار النسيان ويسحب البساط من تحت قدميه مثل زعيم الطائفة التيجانية الشيخ عبد العزيز سي .
س -ما هو حجم الحركات التي تنتهج منهج أهل السنة؟
ج - هناك حركة الفلاح السلفية للثقافة الإسلامية، وقد أنشئت قبل الاستقلال من قبل الشيخ محمود يار - رحمه الله - وقد كانت محدودة إلى الثمانينات ثم انتشرت وأصبح لها فروع في فولتا العليا ومالي وموريتانيا وغينيا، وفي السنغال لها فروع في جميع الأقاليم ولها فرع للشباب وآخر للنساء.
وهناك حركة عباد الرحمن وهي حركة جديدة، ومؤسسوها تربوا في حركة الفلاح وهم من المثقفين والمعلمين. وعلى كل حال فإن أكثرية الشعب السنغالي لا تفرق بين حركة الفلاح وحركة عباد الرحمن .
س - ماذا عن موقف رئيس الدولة من الإسلام؟
ت -- كما تعلمون فإن ليوبولد سنغور هو الذي عين الرئيس الحالي ، وليوبولد سنغور محب لفرنسا حتى العبادة، وإن كانت أصوله إسلامية، لكن فرنسا احتضنته ونصَّرته منذ صغره وعملت على شهرته ، وفي أوائل الثمانينات بدأ الشعب يتململ وبدأ يطرح مشكلة دين الرئيس ومشكلة إيجاد وزارة مستقلة للأوقاف الإسلامية، فما كان من سنغور إلا أن عين (عبدو ضيوف) وهو مسلم وزوجته مسيحية متعصبة تربت في المدارس الكنسية.
ومع أن الشعب أيده - لأنه مسلم - لكنه عمل أعمالاً لم يكن سنغور يجرؤ على القيام بها، فقد تلاعب في قانون الأحوال الشخصية، وكما هو جارٍ في كثير من البلاد الإسلامية فإن كثيراً من الأمور لم يكن يجرؤ المستعمرون على القيام بها قام بها أناس من بَنِي جلدتنا.
س - فـي الـعـالم الإســلامي اليوم حركات باطنية لها نشاط واسع ومحموم مثل البهائية والقاديانية والرافضة ... فهل لهذه الحركات وجود في السنغال ؟
ج - السنغال يعاني من نشاط الحركات الباطنية ؛ فالماسونية منتشرة منذ القدم ، وقد شن أهل السنغال حملة قوية ضد الماسونية التي كان لها

مراكزها ومستوصفاتها فحلت محلها الكنيسة في إدارة هذه المراكز ؛ مما يدل على التعاون والتنسيق بين الكنيسة والماسونية.
أمـــا الـرافـضـة فأثـرهم فـي صفـوف أهل السنغال ضئيل وينحصر نشاطهم ضمن الطائفة اللبنانية، وقد ازداد نشاطهم بعد ثورة الخميني تجاه الشعب السنغالي ففتحوا المدارس ، ووزعوا المطبوعات الإيرانية، وكذلك الدعوات وتذاكر السفر لزعماء الصوفية ولبعض الشباب للذهاب إلى إيران.
ونتيجة لوعي المسلمين هناك فإن نشاط الشيعة انحسر ، والسفارة الإيرانية لم تعد توزع مطبوعات إيران كما كان الحال سابقاً .
س - هل انعكس الخلاف بين الموريتانيين والسنغاليين على واقع السنغال؟
ج - الانعكاس واضح في المجال الاقتصادي في كلا البلدين ، وكذلك في مجال العلاقات حصلت أشياء سلبية، وقد كانت هناك أصوات خبيثة تحرض كلاً من الشعبين ضد الآخر، وقد لعبت فرنسا دوراً لا يستهان به في ذلك عن طريق نشر الأخبار والتهويل فيها، وقد بدا في حمى الأزمة أن الحكومة عاجزة عن فعل شيء ، ولكن من حسن الحظ أن تلك الأزمة حصلت في شهر رمضان فاستغل الإسلاميون هذه المناسبة واستنكروا ميل الشعب إلى الانتقام سواء في موريتانيا أو في السنغال ، وسرعان ما هدأت الأمور بعد هذا الدور الذي قامت به جماعتا الفلاح وعباد الرحمن في كلا البلدين. وصاروا يجتمعون في غامبيا - وهي داخل السنغال - ويمكن لكل من الموريتاني والسنغالي أن يدخلها وتألفت لجنة مشتركة وأصبحت تجتمع لإيجاد الحلول لهذه المشكلة المؤسفة.
ختاماً لهذه المقابلة تتقدم مجلة "البيان" بالشكر للأخ الكريم محمد بامبان جاي على هذه المعلومات التي أدلى بها لنا عن السنغال .

ركن الأسرة

رسالة إلى الأخت المسلمة

أشرف شعبان

إليك يا أختى المسلمة أخط بضع كلمات هي إلى العـظة والتذكير أقرب منها إلى النصح فإن الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة الـمـسـلـمـين وعامتهم ، فاعلمي أنك على ثغر من ثغور الإسلام ألا وهو الأسرة المسلمة وتربية أطفالها فلا يصح أن يـُـؤتَـى مـن قِـبـلـك ، فارتداؤك الحجاب الإسلامي الفضفاض وغير الشفاف وما يتبعه من خمار لا يعني نهـايـة الطريق بل هـو بـدايـتـه ، بـه تعلنـيـن أمام الملأ انضمامك للصف الإسلامي وتمسكك بتعاليم الإســلام وأوامره ونواهيه والتزامك به في سلوكياتك وتصرفاتك أمام أهلك وأمام المجتمع.

ولتعلمي يا أختي أن الـمـحـن والابتلاءات ستدور عليك وحولك : ستخيَّرين بين من يقدم لك متاع الدنيا وبين من لا يمـلـك سوى دينه يريدك زوجة له ، فتذكري حديث المصطفى -صلى الله عليه وسلم- : »إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه« ولك في نساء الصحابة أسوة حسنة حين أتم رسول الله زواج إحداهن بمهر وقدره خاتم من حديد أو بما حفظ من آيات القرآن الكريم. وتُمتحنين في أقرب الناس إليك:زوجك أو ابنك، فـقـد يـجـبـر أحـدهـمـا أو كلاهما على الرحيل من بلده فراراً بدينه أو للجهاد في سبيله هنا وهناك ، فلا تحزني فـالـدنـيـا مهما طالت أيامها معدودة وقصيرة وستلتقين بهما لتنضموا سوياً إما بالنصر أو النعيم في الجـنـة وهذا هو الإسلام وذروة سنامه ، ستتذوقين شظف العيش ويخلو بيتك من الملذات فتذكري أن بـيـت رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- كان يمضي عليه ثلاثة شهور دون أن تشعل فيه نار، فلا تترددي أو تضعفي يا أختي أمام المحن والابتلاءات فكلما ازداد إيمان الفرد اشتد بلاؤه ، وتـذكـري حديث رسول الله »إن أشد الناس ابتلاءً هم الأنبياء ثم الصالحون« وكل ابتلاء يثاب علـيـه المؤمن في جسده أو ماله أو ولده ليخرجه من الدنيا كما ولدته أمه بلا ذنوب واعلمي أن حـيـاتك الدنيا ما هي إلا دار ابتلاء وامتحان ، فمن صبر وشكر فهو مع الذين أنعم الله عليهم مـن الصديقين والشهداء في جنة الخلد عند مليك مقتدر. جعلنا الله وإياك من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

تربية

جوانب من البناء العقَدي للطفل المسلم

خولة درويش

تعويد الأطفال حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وتوقيره :

عـلـى الـوالـديـن وموجهي الأطفال أن يغرسوا حب رسول الله -صلى الله عليه وسلم- في نفوس الناشئة، فـحـب رسـول الله مـن حـب الله - جـل وعلا - ولا يكون المرء مؤمناً إلا بحب الله ورسوله.

عن أنس - رضي الله عنه - قال ، قال رسول الله -صـلـى الله عـلـيـه وسـلـم- : »لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين« (1) .

وعلينا أن نُفهم الطفل بعض الشمائل الطيبة، نقتبسها من السيرة النبوية ، مـن صـفـاته -صلى الله عليه وسلم- مثل : الرحمة بالصغار، وبالحيوان وبالخدم... وأن نحكي له بعض القصص المحببة في هذا الشأن من سيرته -

عليه الصلاة والسلام - ، ومن سيرة أصحابه الـكـرام ، وذلك حـتـى يـتـخـلـق بخلق رسول الله ، فيرحم الصغار والضعاف ، ولا يؤذي الحيوان .
ونغرس في نفوس أطفالنا خلال سردنا لمواقف من سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلم- أثر تطبيق الدين في السلوك والخلق والعبادة... فتتأثر نفوسهم ، وتتفاعل قلوبهم بحب الرسول - عليه الصلاة والسلام - وحـب رسـالـتـه ، وفي ذلك المغفرة وجنات النعيم ((قُلْ إن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ويَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ واللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ))[آل عمران:31] .
وعلى المربي أن يعلّم الأطفال الصلوات الإبراهيمية وأن يحفظوها إن أطاقوا ذلك ، فالصلاة على النبي ترفع الدرجات ، وتضمن شفاعـة الـمصطفى -صلى الله عليه وسلم- ((إنَّ اللَّهَ ومَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وسَلِّمُوا تَسْلِيماً))[الأحزاب:56] وأنه خاب وخسر من إذا ذكر عنده لم يصلِّ عليه .
اللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الإيمان بالملائكة :

الملائكة جند الله ، يأتمرون بأمره ولا يعصونه.. إن في العالم مخلوقات كـثـيـرة لا نعرفها، يعلمها خالقها - جل وعلا - ومن بينها الملائكة... بهذه الصورة يمكن أن نتحدث عن هذا الركن الإيماني الغيبي أمام الأطفال ، ونضيف لهم : إن أعمال الملائكة كثيرة نستشفها من بعض الآيات الكريمة،ومن ذلك حفظ الإنسان ((إن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ))[الطارق:4]. وكتابة ما يعمله في حياته ((مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ))[ق:18]. وكم يسعد الأطفال عندما تجمعهم أمهم ، لتحدثهم عن الجنة ونعـيـمـهـا، والملائكة فيها ، إذ تبشر المؤمنين كقوله - تعالى -:((إنَّ الَذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُـوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَةُ أَلاَّ تَخَافُوا ولا تَحْزَنُوا وأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (30) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وفِي الآخِرَةِ ولَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ ولَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (31) نُزُلاً مِّنْ غَـفُـورٍ رَّحِـيـمٍ (32) ومَـنْ أَحْـسَـنُ قَـوْلاً مِّمَّن دَعَا إلَى اللَّهِ وعَمِلَ صَالِحاً وقَالَ إنَّـنِـي مِـنَ المُسْلِمِينَ))[فصلت:30-33] .
فالأم بذلك تستفيد من صفات طفولة أبنائها، في خدمة عقيدتها، ويجددون مرضاة الله (تعالى) .
فبدلاً من إرضاء الخيال النامي عندهم بقصص خرافية، وأساطير وهمية، قد لا تجلب لهم إلا العنف ، والبعد عن الواقعية.. نكون بذلك قد تعاملنا مع طفولتهم بما يرتضيه الشرع الحنيف.. على أن لا يكون في هذا شطط ولا غلو، إن الغلو في أي شيء إفراط قد يؤدي إلى خلاف ما يقصد المربي .
وينبغي ألا يثبّت المربون صورة خاطئة في عقول الأطفال عن شكل الملائكة مثلاً.. ولاسيما أن أكثر وسائل الإعلام تصور الملائكة بأشكال معينة لها أجنحة،

وتصور الشيطان بأن له قروناً .. وذلك حتى لاتثبت هذه الصورة الخاطئة في نفس الطفل.

عدم التركيز على الخوف الشديد من النار :

إن الطفل ذو نفس مرهفة شفافة، فلا ينبغي تـخـويـفـه ولا ترويعه ، لأن نفسه تتأثر تأثراً عكسياً .. يمكن للمربي أن يمر على قـضـيـة جـهـنـم مراً خفيفاً رفيقاً أمام الأطفال ، دون التركيز المستمر على التخويف من النار، ظناً منه أن هذه وسيلة تربوية ناجعة ..

أخـرج الحـاكـم والـبـيـهـقـي عن سهل بن سعد - رضي الله عنه - : أن فتى من الأنصار دخلته خشية الله، فكان يبـكـي عـند ذكر النار، حتى حبسه ذلك في البيت ، فذُكر ذلك لرسول الله -صلى الله عليه وسلم- فـجـاءه فـي الـبـيت ، فلما دخل عليه اعتنقه النبي ، وخر ميتاً فقال النبي -صلى الله عليه وسلم- : »جهِّزوا صاحبكم فإن الفَرَق فَلَذَ كبده! (2).

إن الفقه في دين الله هو ألا يقنط الناس من رحمة الله وألا يستهينوا بمعاصيه . فعن علي - رضى الله عنه - قال : ألا أنبئكم بالفقيه حق الفقيه ؟ من لم يقنط الناس من رحمة الله، ولم يرخص لهم في معاصي الله ، ولم يؤمنهم مكر الله ، ولم يترك القرآن رغبة عنه إلى غيره ، ولا خير في عبادة ليس فيها تفقه ، ولا خير في فقه ليس فيه تفهم" (3).

الإيمان بالقدر :

وعلينا أن نزرع في نفس الطفل عقيدة الإيمان بالقدر منذ صغره ، فيفهم أن عمره محدود، وأن الرزق مقدر ولذلك فلا يسأل إلا الله ، ولا يستعين إلا به ، وأن الناس لا يستطيعون أن يغيروا ما قدره الله - سبحانه وتعالى - ضراً ولا نفعاً ، قال - تعالى - : ((قُل لَّن يُصِيبَنَا إلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا))[التوبة:51] .

أما كيف يتم ذلك؟ فمن خلال انتهاز الفرص المناسبة، ولعل أبرز الظواهر التي تلفت نظر الأطفال في هذا المجال : ظاهرة الموت ، فهم قد يتقبلونه تقبلاً معتدلاً، وذلك في ظل أسرة لا تبدي جزعها من الموت ، وتُشعر الأطفال - وببساطة - أن من ينتهي عمره يموت. أما إن شعر الأطفال - بطريقة ما - أن الموت عقوبة وذلك من خلال التعليق على موت أحد الناس: "والله إنه لا يستأهل هذا الموت"! كما تقول بعضهن في لحظة انفعال، نسأل الله المغفرة والهداية، وكذا إن هددت الأم طفلها بالضرب والتمويت ؛ فيزرع في ذهنه أن الموت عقوبة وليس نهاية طبيعية ومنتظرة للجميع مما يجعلهم يجزعون منه مستقبلاً، وهذا ما يتنافى مع عقيدة الإيمان بالقدر.

وكذا بالنسبة للرزق : جميل بالمربية أن تتعمد أمام طفلها حمد الله - تعالى - على ما أعطى من الرزق ، فذلك يرسخ في ذهنه أن المال مال الله والخير كله منه.. وإن قال لها مستنكراً : إلا أن المال من مكان "كذا" لمكان عمل والده - فهي الفرصة لأن تغرس في نفسه ، لأنه لابد من اتخاذ الأسباب

المؤدية إلى النتائج بحسب السنة الجارية.. ومن ثم يـحـس بوجـوده الـذاتـي ويـعـمـل، دون أن يفـتن بنفـسه ولا بعمله، ودون أن يفـتـن بالأسباب(4).
وإن اتخاذ الأسباب مع الإيمان بالقدر - يجعل من المسلم إنساناً مقداماً لا يخشى إلا الله، كريماً لا يخاف على نفسه الفقر، صبوراً لا يهلع أمام كل مصيبة مادامت مقدَّرة .
فهذا المعتقد : "يُحدث في حسن المؤمن توازناً جميلاً رائعاً، يعينه على القيام بدور الخلافة الراشدة في الأرض ، ويجعله يعمل في الأرض وقلبه متطلع إلى الله في السماء.
إنه يتخذ الأسباب عبادة لله ، وانطلاقاً مع سنة الله الجارية، ويحس في الوقت ذاته أن النتيجة التي وصل إليها هي قدر قدَّره الله ، وليست حصيلة أسبابه التي اتخذها، وأن الأسباب لا تؤدي بذاتها أداءً حتمياً إلى النتيجة إنما تؤدي إلى النتيجة بقدر من الله.
فهذه المعاني تدفع الطفل إلى عدم التخاذل ، فلا يداهن ولا يراوغ ، لأنه قد حُصِّن بقوة العقيدة، ولا يمكن أن ينحني رأسه أمام مغريات الدنيا، ولا إرهاب المتجبرين ؛ لأنه اعتاد أن ينحني ويسجد لله فقط.
فمن هؤلاء الأطفال الذين نغرس في نفوسهم هذه المعاني - معاني العقيدة - سيكون خط التغيير نحو منهج الله بإذن الله ، من المنازل ومن رياض الأطفال سوف تصحح المفاهيم ، فليتقِ الله أولياء الأمور في هذه المدارس ، وفي تلك المنازل ، وليعلموا عظم المسؤولية وليؤدوا الأمانة بصدق وإخلاص ، ليربطوا عقيدة الناشئة بعقيدة السلف.

الهوامش :

1- متفق عليه.
2 - أخرجه الحاكم وقال : صحيح الإسناد، والبيهقي من طريقه عن سهل بن سعد وانظر : "حياة الصحابة" ، 2/618 ، والفرق : الخوف ، فلذ : قطع.
3- حياة الصحابة : 3/210 .
4- مفاهيم يجب أن تصحح : محمد قطب ، 276.
5 - مفاهيم يجب أن تصحح : فصل مفهوم القضاء والقدر ، ص77.

قراءة في كتاب

جراحة التجميل

بين التشريع الإسلامي والواقع المعاصر

عرض وتلخيص : محمد وهدان

انتشرت جراحة التجميل في كل دول العالم خلال السنوات العشر الماضية.. وهي عمليات جراحية صغيرة أو كبيرة يراد منها إما علاج عيوب خَلْقِية تتسبب في إيذاء صاحبها بدنياً أو نفسياً، وإما تحسين شيء من الخلقة بحثاً عن جوانب من الجمال أكثر من الموجود أو بدلاً عن المفقود.
وقد كثر هذا اللون من ألوان التجميل في أيامنا هذه ، وفي واقعنا الذي نعيشه ، وتخصص له أناس ، قصروا أنفسهم عليه ، ووفروا وقتهم للتفنن فيه كما أصبح له أقسام في كثير من كليات ومعاهد الطب ، وعيادات لكبار الجراحين للاهتمام به تدريباً ومزاولة.
كما أن أجهزة الإعلام في كثير من الدول تلهب النساء بسياط التشجيع والترغيب في هذا اللون من التجمل بنوعيه ، وإذا كان الواقع الإنساني المعاصر يتقبل بصدر مفتوح كل ما يثير فيه الغرائز، وينمّي لديه الشهوات ، فإن التشريع الإسلامي يختلف عن ذلك كلية.
وكتاب (جراحة التجميل بين التشريع الإسلامي والواقع المعاصر) يعالج هذه القضية، ويطرح وجهة نظر الدين الإسلامي.. من خلال آيات القرآن الكريم ، وأحاديث رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وسيرة السلف الصالح (رضوان الله عليهم) .
وبرغم أن الكتاب من الحجم الصغير، ولا تزيد صفحاته عن 48 صفحة إلا أن مؤلفه الدكتور عبد الحي الفرماوي الأستاذ بجامعة الأزهر وفَّى الموضوع حقه من البحث والدراسة.
يقول الدكتور الفرماوي : يفرق الإسلام بين عمليات التجميل ، ويفارق بين موقفه منها حسب التفريق إلى قسمين :
الأول : الجراحات التجميلية التى تعالج عيباً في الإنسان - امرأة كانت أو رجلاً - يتسبب في إيذائه نفسياً أو بدنياً، ويصاحبه كذلك إن لم يعالَج ألم شديد ، لا يستطيع صاحبه تحمله ، كما قد يتسبب في إعاقته عن أداء وظيفته ، أو كمال قيامه بها.
ولأن التشريع الإسلامي لا يهدف إلى تعذيب الناس أو حرمانهم مما يحقق لهم فائدة، تمكّنهم من النجاح في حياتهم ، وتعينهم على تحقيق إنسانيتهم دونما إطلاق لعِنَان فوضى الغرائز، ودونما إماتة لفطرة الأنوثة التي خلقها المشرع سبحانه في المرأة - فقد أباح هذا النوع من عمليات التجميل.
الثاني : الجراحات التجميلية التي لا تعالج عيباً في المرأة، يؤلمها ويؤذيها، بل يكون الدافع لذلك مجرد "جاذبية الرجال"، وهذا النوع : يحرم الإسلام منه القليل والبسيط ، ويحرم من باب الأَوْلى : الكثير منه والمعقد.
ويدلل الدكتور الفرماوي على ذلك بما رواه مسلم في صحيحه عن عبد الله بن مسعود أنه قال : »لعن الله الواشمات والمستوشمات ، والنامصات والمتنمصات ، والمتفلجات للحسن ، المغيرات خلق الله فبلغ ذلك امرأة من

بني أسد يقال لها أم يعقوب ، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت : ما حديث بلغني عنك أنك لعنت الواشمات والمستوشمات ، والمتنمصات والمتفلجات للحسن.. المغيرات خلق الله؟ فقال عبد الله : وما لي لا ألعن مَن لعن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو في كتاب الله ! فقالت المرأة : لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته فقال : لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه قال الله - تعالى - : ((ومَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ومَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا))[الحشر:7] ، فقالت المرأة : فإني أرى شيئاً من هذا على امرأتك الآن ، قال : اذهبي فانظري. قال - أي الراوي - : فدخلت على امرأة عبد الله ، فلم تَرَ شيئاً، فجاءت إليه ، فقالت : ما رأيت شيئاً، فقال : أَمَا لو كان ذلك لم نجامعها«.

التحدي :

ويعلق الدكتور عبد الحي الفرماوي على الحديث السابق ويقول : فهذا عبد الله بن مسعود، الصحابى الجليل المتوفى سنة 32 هجرية (653 ميلادية) تتحداه أم يعقوب في بيته - كما رأينا - حتى تتأكد من براءته من الوقوع فيما حكم بحرمته ، ونهى عنه.

وقد أخرج الطبراني هذا الحديث وزاد في آخره - كما يقول ابن حجر في فتح الباري - فقال عبد الله : ما حفظت وصية شعيب إذاً، يعني قوله - تعالى - حكاية عن شعيب - عليه السلام - ((ومَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ))[هود:88].

ويقول الدكتور الفرماوي :

إن الإمام الطبري قال : لا يجوز للمرأة تغيير شيء من خلقتها التى خلقها الله عليها، بزيادة أو نقص ، التماساً للحسن ، لا للزوج ولا لغيره ، كمن تكون مقرونة الحاجبين فتزيل ما بينهما، توهم البلج "حسن الطلعة" ومن تكون : لها سن زائدة فتقلعها، أو طويلة فتقطع منها، أو لحية، أو شارب أو عنفقة (1)، فتزيلها بالنتف ، ومن يكون شعرها قصيراً أو حقيراً فتطوله أو تغرزه بشعر غيرها، فكل ذلك داخل في النهي ، وهو من تغيير خلق الله.

ثم يقول : "ويستثنى من ذلك : ما يحصل به الضرر والأذية، كمن تكون لها سن زائدة أو طويلة، تعوقها في الأكل ، أو إصبع زائدة تؤذيها وتؤلمها فيجوز ذلك.

ويشير المؤلف إلى ما يلي :

يرى الإمام النووي المتوفى سنة 676 هجرية (1277م) أنه إذا نبت للمرأة لحية أو شارب أو عنفقة، فلا يحرم إزالتها، بل يستحب.

يعقب ابن حجر المتوفى سنة 852 هجرية (1448م) على ما يراه النووي بقوله : وإطلاقه مقيد بإذن الزوج ، وعلمه ، وإلا فمتى خلا عن ذلك مُنع للتدليس ويقول في موضع آخر من فتح الباري : المذمومة من فعلت ذلك -أي عمليات التجميل - لأجل الحسن ، فلو احتاجت إلى ذلك لمداواة مثلاً جاز ..

يقول بعض الحنابلة : يجوز للمرأة الحف والتحمير، والنقش، والتطريف إذا كان بإذن الزوج لأنه من الزينة.

لماذا.. لماذا ؟ :

قد يعترض البعض من الناس ويتساءلون : لماذا كان موقف التشريع الإسلامي على نحو ما سبق ذكره ؟ ولِمَ لا يترك للناس الحرية في مثل هذه الأمور الشخصية ؟ .
ويرد المؤلف على هؤلاء قائلاً: ونحن نخاف عليهم ونرجو لهم الخير، قال الإمام الخطابي : إنما ورد الوعيد الشديد في هذه الأشياء لما فيها من الغش والخداع ، ولو رُخص في شيء منها لكان وسيلة إلى استجازة غيرها من أنواع الغش ، ولما فيها من تغيير الخلقة.
كما يضاف إلي ذلك : أن فتح الباب للنساء - في هذه المبالغات - يؤدي إلى ارتمائهن في أحضان الغرائز الشهوانية والبعد تدريجياً عن رسالتهن الإنسانية، التى خُلقن لأجلها، والانغماس في فضول الأعمال التى هي إلهاء عن الواجب الأساسي وهو عبادة الله - تعالى - بل عن الإيمان نفسه وبالضرورة : عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وهنا يفقد الإنسان "خيريته" التي خصه الله - تعالى بها - والتى تؤهله لقيادة هذا العالم الذي يتخبط ويقاسي من الحروب ويحاط بالرعب ، والذي هو في أمس الحاجة إلى قيادة حكيمة ، عاقلة، راشدة.
ولن تكون هذه القيادة للعالم إلا بتوجيه ممن خلق هذا العالم نفسه أو بإرشاد منه ، وبالتزام لمنهجه ، وتعاليمه ولا يتوافر كل ذلك أو بعض ذلك إلا في أمة محمد رسول الله -صلى الله عليه وسلم- .
ويمضي الدكتور الفرماوي قائلاً : أنه لو عمَّت هذه العمليات لكان الاعتراض الدائم على ما خلق الله -سبحانه وتعالى - والانشغال بتغييره عن الوظائف الحقيقية، والمهام الأساسية التي نيطت بالإنسان في هذا الكون ، ولصرفت المرأة بها عن الرغبة في الإنجاب، ولو أنجبت لصرفت عن التنشئة والتربية، حتى لا يحرمها هذا الإنجاب من الجمال أو تصرفها التنشئة وتشغلها عنه.
ولهذا فقد حرم الإسلام هذا النوع من عمليات التجميل ، وليس التشريع الإسلامى في هذا متجنياً على المرأة ، أو مانعاً لها من شيء فيه مصلحتها وإنما ينبه المرأة دائماً إلى أن الجمال الحقيقى في الخُلق ، لا في الخلقة، وأن الجمال الدائم هو جمال الروح والأفعال والأقوال لا في الأشكال والهيئات ، وأن الذي ينبغي الحرص عليه : هو ما به يتحقق للمرأة إنسانيتها وكرامتها وحسن سيرتها، وهو جمال الخلق والطباع ، وأن الجري وراء هذه المحاولات المستمرة للبحث عن الجمال الشكلي الزائف لن يكسب الإنسان - امرأة كانت أو رجلاً - شيئاً يستحق الذكر، بل لم يكسبه في عصوره الغابرة سوى

الانطلاق في طريق الشهوات والغرائز، الذي يشيع الفاحشة في المجتمع ثم ينتهي به إلى الانحلال والدمار والهلاك.
ويشير الكتاب في النهاية إلى أنه ما انتشرت هذه الأشياء في قوم وألفها الناس ، وأحبوها إلا كانت دليلاً على انشغالهم بالوسائل دون الغايات ، وعلامة بارزة على شيوع الفواحش والموبقات ، ونذيراً إلى اضمحلال حضارتهم ، وطريقاً سريعاً إلى هلاكهم ودمارهم ، والتاريخ القديم والحديث يؤكد ذلك : فقد قال النبي -صلى الله عليه وسلم- فيما يرويه البخاري ومسلم وأصحاب السنن لأصحابه ونساء أمته : »إنما هلك بنو إسرائيل حين اتخذ هذه نساؤهم« ، وهو نفس ما حدث للإمبراطورية الرومانية وللإمبراطورية الفارسية ولكثير من الحضارات الغابرة.
ويذكر المؤلف : أن فرنسا لم تهزم قريباً إلا لانشغال رجالها ونسائها بالشهوات حين دخلتها جيوش الاحتلال !
ولأن الإسلام لا يحب للفرد المسلم الضياع ، فقد حرم عليه أن ينغمس في الشهوات ، أو ينشغل بما يهيج غرائزه ، حتى لا تتغلب شهواته على عقله ، وينفصل في واقعه الذي يعيشه عن التشريع الذي يحفظ عليه آدميته ويعلي من إنسانيته .

الهوامش :

1 - العُنفقة : الشعر النابت على ظاهر الشَّفَة السفلى .

الزاوية الطبية

حبوب منع الحمل ما لها وما عليها ؟

د.خالد الموسى

مع انتشار حبوب منع الحمل ومنظِّمات الدورة الشهرية عند المرأة في مطلع النصف الثاني من هذا القرن ومع تزايد استعمالها أظهرت الكثير من الدراسات العلمية أنها ليست مأمونة مطلقاً، ولا يتم تناولها بدون أضرار بدنية ونفسية، وما تمر فترة إلا ويتبين ارتباطها ببعض من الظواهر المرضية وظهور أعراض جانبية عديدة.
فإن هذا الهدف الرئيسي لاستعمالها هو منع الحمل أو تنظيم النسل،وقد أُسيء استخدامها كـثـيـراً حتى أصبحت تُتناوَل من قِبل الشابات الصغيرات في كثير من الـبـلـدان الأوربـيـة والغربـيـة والشرقية مع انفتاح الحرية الفردية والحياة الجنسية وبدون حدود أو ضوابط ، وانتقلت إلـى الـبـلـدان العربية والإسلامية عن طريق فكرة تنظيم النسل (وهي فكرة يهودية خبيثة) فإن كانت هـنـاك مـبـررات فردية وشخصية وعلى مستوى ضيق ومحصور لتنظيم

الأسرة فلا يجب أن تعمم على إطلاقها ويطلق العِنان لانتشارها، فالإسلام دعا إلى التكاثر وحفظ النسل، لا قطع الحرث.
وإن هــذا الاستـعـمـال لا يخـلـو من محاذير كثيرة وتأثيرات جانبية تتعرض لها الـمـرأة وسنحاول باختصار ذكر هذه الاضطرابات الجانبية لحبوب منع الحمل :
1 - تؤدي إلى زيادة الوزن نتيجة زيادة الشهية وبعوامل استقلابية هرمونية على النسيج الشحمي .
2 - تؤدي إلـى حـبـس الأملاح والسوائل وبالتالي لزيادة الوزن وزيادة حجم كتلة الدم ثم ارتفاع الضغط الشرياني .
3 - تزيد نسبة حدوث تخثر الدم ، ثم تزداد نسبة حدوث الخثرات الوريدية والتهاب الأوردة الخثري ، وحصول الصمات الجهازية والرئوية بشتى أنواعها.
4 - تزداد نسبة حدوث التهاب الأوردة الخثري العميق المؤدي إلى حدوث صمات رئوية قد تكون قاتلة.
5 - تزيد نسبة حدوث ارتفاع الشرياني وما يسببه من تأثيرات ضارة جهازية في الجسم.
6 - تزيد نسبة حــدوث الآفـات القلبية الوعائية كخناق الصدر وقصور الدوران الإكليلي واحتشاء القلب.
7 - تزيد نسبة حدوث الخـفـقـان واضطـرابات النظم القلبية والتى قد تكون خطيرة بحد ذاتها أو بحدوث صمات جهازية خطيرة.
8 - تفاقم خطورة الأمراض القلبية إن كانـت مـوجـودة سـابـقـاً كأمراض القلب الرئوية أو الآفات الخلقية، وتزيد من نسبة خطورتها.
9 - تزيد نسبة حدوث الصداع التوتري والشقيقة.
10 - تزيد نسبة حدوث الحوادث الوعائية الدماغية.
11 - تؤدي إلى حدوث اضطرابات نفسية وسلوكية عديدة كالنرفزة وسرعة الإثارة والنزق والكآبة.
12 - تؤدي لحدوث أورام غدية صغيرة في الكبد والغدة النخامية.
13 - قد تسبب التهاب ما حول القنيات الصفراوية (التليف التصلبي).
14 - تؤدي لأعراض هضمية عديدة متنوعة كالغثيان وآلام المعدة.
15 - تؤدي إلى حدوث اندفاعات جلدية، وطفح متعدد الأشكال على الجلد.
16 - ينصح جميع الأطباء بعدم إعطائها بعد سنة الـ 35-39 سنة.
هذه مجمل تأثيرات حبوب منع الحمل ، ولا يمر استعمالها بدون تأثير جانبي ونسبي..
فهل من استجابة للإقلال من استعمالها واقتصار ذلك على بعض الحالات الفردية الضرورية الخاصة فقط؟!

رسالة الطبيب في الحياة

لقد خلق الله البشر ولكل قـدرتــه وطـاقـتـه ومـواهـبـه، وخـلـق أرزاقهم ويسر لهم السبيل باختيار منهج وطريق حياتهم، وأرشدهم لاتخاذ السبل في كسب العيش والبحث عن الرزق .. والكل راضٍ بما قسمه الله له، ولقــد حمل الإنسان الأمانة في عمارة هذه الأرض بعدً أن استخلف فيها. قال - تعالى -: ((وَإِذْ قَـالَ رَبُّـكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْض خَلِيفَةً)) [البقرة:30] . وقــال:((إِنَّـا عَـرَضْـنَـا الأَمَـانَـةَ عَـلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ والْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وأَشْفَقْنَ مِنْهَا وحَمَلَهَا الإنسَانُ إنَّهُ كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً))[الأحزاب:72].
وإن هذه الأمانة والاستخلاف تزداد مسؤوليتها والحـمـل الـمـلـقى على صاحبها مع حجم الطاقة والقدرة وبقدر المواهب والعلم والمعرفة والمكانة التى يتمتع بها.
وإن رسالة الطبيب رسالة إنسانية بما فيها من رأفة ورحمة وشفقة، والعبء ثقيل والأمانة عظيمة ودوره وشأنه عظيم في هذه الحياة وذلك بسبب :
1- مكانته وقدرته ومواهبه وعلاقته الاجتماعية..
2- طـبـيـعة مهـنـته وتـعـامـلـه مـع أرواح وأنفس وأجساد البشر، وقوة وشدة تأثيره، لذا فمسؤوليته عظيمة، والأمانة ثقيلة، والدور الذي أنيط به جد مهم ، فمن ثم عليه أن يقوم بواجبه بإحسان التعامل مع المريض والسعي لتخفيف الألم والحزن وشدة المرض عن الناس وأن يـبـذل جهـده ويـعـمـل بشكل دؤوب لتحقيق الصحة العامة والخدمة الإنسانية بشتى جوانبها والشفاء بإذن الله.
وتزيد هذه المسؤولية على الطبيب المسلم لأنه ينطلق من منظور ديني إسلامي ومراقبة ذاتية ومـحـاسـبـة مـسـتـمـرة وارتباطه الكامل بالله - عز وجل - ولابد أن يتذكر كل طبيب أنه سيحاسَب عن هذه المسؤولية في يوم الحساب حينما يقـف بين يدي رب الأرباب .

لم يكلف نفسه بالسؤال ... ولكن ؟!

طارق خليل الأسود

كثير من المسلمين الـيـوم يقــوم بفعل الشىء، وبعد أن يتمه يأتيك سائلاً عن حُكمه ، فربما كان الحكم حراماً أو حلالاً، أو مـكـروهاً أو مندوباً ... فماذا يفعل هذا المسلم لو كان الحكم حراماً ؟! ؛ إنه ارتكب إثماً - ولا شك - في حق نـفـسـه لأتفه الأسباب، لأنــه لم يكلف نفسه بالسؤال ولا الاستفسار عن حكم هذا العمل الذي يريد الإقدام عليه قبل عمله والوقوع فيه.

بل الأمر الأدهى من ذلك والأمرّ، ذلك المسلم الذي يقوم بفعل الشيء وهو لا يعرف حكمه، ثم لا يسأل ولا يبالى إن كان الحكم حراماً أو حلالاً، مندوباً أو مكروهاً ... الخ .
ولكن نجد فئة من الناس بل الغالب عليهم أنهم لا يسألون عن الحكم الشرعي، بـل نجــد الـرجـل مـنهـم حينما يتقدم الخاطب إلى خِطبة ابنته ، لا ينام الليل ولا النهار حتى يعلم أدق الأمور عـنـه فـيـسـأل القــريب والبعيد عنه ، وقد يضطر أحياناً إلى السفر إلى الخارج للبحث والاستفسار عنه ، وكذلك يحقق ويزن الأمور التي توصل إليه ، أليس هذا واقعنا المعاصر ؟ .
اعلم يا عبد الله : أن كل حركة أو إشارة أو كلمة أو نظرة لها وعليها حساب ؛ قال الله - تعالى - : ((فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ (7) ومَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَراً يَرَهُ))
[الزلزلة:7-8] وأنت تعلم ما الذرة وما كبرها، فينبغي معرفة حكم الشيء قبل الإقدام عليه فإن كان حراماً ابتعدت عنه ، وإن كان حلالاً أقدمت عليه... وزِنْ الأمور قبل وقوعها بميزان الصراط المستقيم ، ميزان الحق والعدل ، ميزان الحلال والحرام ، ميزان لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فإن كانت موافقة فالراحة والطمأنينة، وإن كانت مخالفة فالابتعاد عنها، وإن كان فيها شك أو شبهة ابتعدنا عنها أيضاً أسلم للعواقب ، وآكد للثواب. هذا إذا أردت عتق نفسك من النار، وعدم تحميلها أكثر مما تطيق من الآثام والأوزار. اللهم انفعنا بما علمتنا، وكن عوناً لنا.

نسبة الانتحار بين الشباب البريطاني في ارتفاع

ارتفعت نسبة الانتحار بين الشباب فوق 50% خلال الأعوام العشرة الأخيرة . ورد ذلك فـي تقرير جديد نشر في جريدة "غارديان" وأصدرته جمعية معنية بالتخفيف من أسباب الانـتـحار، ومساعدة الذين يتعرضون لضغوط نفسية قد تدفعهم إلى الانتحار .
وعللت ارتفاع نـسـبـة الانـتـحار بين الشباب لأنهم أكثر قابلية لأسبابه التي منها : تزايد الضغوط الاجتماعية، والإخـفـاق في الحصول على إنجازات أكبر في المدرسة، والصعوبات الاقتصادية خلال العقد المنصرم .
أما عن أسباب الانتحار عند الـكـبـار فـقـد ذكـر التقـريــر من ذلك : الوحدة، والحرمان، وانهـيـار الصحة، وتناقص الفرص المتاحة، والعيش في ظروف غير مناسبة ، والخوف من وقوعهم عبئاً على الآخرين .

وذكر التقـريــر أن كل ساعتين هناك من يقتل نفسه في بريطانيا ويعتبر هذا أشد إثارة للقلق من الرقم الذي تعلـنــه الدولة سنوياً عن الذين ينتحرون وهو (5000) ، وكذلك هناك أكثر من 200 ألف محاولة انتحار .
وقد تلقت الجمعية خبر 2.5 مليون حالة محاولة انتحار ما بين مكالمة ورسالة وزائر .
نسبة مَن هم بين 15-44 سـنـة ارتفـعـت 50% خـلال العشر سنوات الماضية ، وكان فيها عدد الرجال ضعف عدد النساء.
المنتحرون تحت 25 سنة كانوا 80% ذكوراً .
كانت نسبة الذكور من المنتحرين الذين هم دون 25 سـنـة 80% بزيـــادة 26% بـيـن عــام 1978-1988 .
وقد تراجع عدد النساء المنتحرات بنسبة 22% وعزا التقرير سبب ذلك انه ربما لأن المرأة قد تبكي أو تصرخ أو تنفس عما في نفسها بطريقة أو بأخرى بينما الرجل في الأغلب يدفن همومه بداخله.
بقي أن نـضـيـف أن هــذه الجمـعية عندها (22) الف متطوع ، وتعلن أنها بحاجة إلى (6) آلاف آخرين ، وإلى (4) ملايين جـنـيـه إسـتـرليني كي تستمر في إدارة (184) فرعاً لها في جميع أنحاء بريطانيا.
غارديان ويكلي 527/5/1990

الصفحة الأخيرة

معادن الشعوب

عبد القادر حامد

تظهر معادن الشعوب والجماعات على حقـيقـتـهـا عند الأزمات ، حيث يقع الناس تحت التأثير العام للأزمة ويصطلون بنارها ؛ فتنكشف عنهم حجب الرياء والنفاق ، وتتساقط من بينهم جدران التكلف والتملق ، ويبدو كل فرد بـأخــلاقـه الحقـيقـيـة وبسلـوكه الذي فُطر عليه.
وقد ظهر هذا جلياً في أزمة الخليج واحتلال العراق للكويت، فتبخرت كثير مـن الشعارات الـتـى أنفق العرب من عمرهم زمناً طويلاً يرددونها ويتغنون بها، فقد جعلت هــذه الأزمــة كثيراً من العرب يكفرون بالعروبة عملياً وإن لاكتها ألسنتهم نظرياً .
والوحدة العربية كحلم تبخر من ذهن أغلبية شعوب المنطقة التي تعاني المُر كله من الضغط الداخـلـي والخارجي ، والتضامن الإسلامي على أساس العقيدة الإسلامية يبحث المرء عن آثاره ، ويتشمم في الزوايا أخباره فلا يجد شيئاً ! .

ولو تُركــت الشعوب تصارع هذه الأزمات المفتعلة بما عندها من مواهب وما أعطاها الله من إمكانيات لـربـمــا ظهرت الأصالة العربية والحمية الإسلامية، ولكن هيهات وهي لا تتُرك وحدها ولا يخلَّى بـيـنـهــا وبين أعدائها، بل تستمر أجهزة الإعلام من كل حدب وصوب تثير الأحقاد وتستعدي الشـعــوب بعـضـهـا على بعض ، فتذهب بالبقية الباقية من رصيد الخير الباقي في نفوسها .
من أجل ماذا ؟ من أجل قلة قليلة لسان حـالهـا يقـول: إذا متُّ ظمآناً فلا نزل القَطْرُ !

تمت بعون الله ، وله الحمد
